

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وبعد
فهذا كتاب في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من لحظة الميلاد التي أضاءت
لها قصور بُصرى بالشام إلى لحظة الوفاة التي أظلمت من المدينة كل شيء ، وبين
اللحظتين مساحات تدعو للاقتداء . حاولت جاهداً أن أكتب لك سيرة تلك
القدوة وأحداثها التي جالت في رحاب مكة والمدينة ، وسن من خلال تلك
الأحداث منهجاً للعالمين . ولم أدون في هذه المساحة سوى ما صح عنه صلى الله
عليه وسلم وأثريت تلك المساحات بما يبعث أشواقك ويشير همومك للعمل والبناء في
واقعك . والله المسؤول أن يجعلني وإياك ممن يحسن الاقتداء ويسير على ذات الطريق
إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المؤلف

د / مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

بلاد الحرمين . القنفذة

حلي

حين أضاء الكون

(قصة الميلاد)

- ولد نبينا صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين ورأت أمه حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام ، ولا يترتب على هذا الميلاد أي عمل شرعي ، وتقديس الأنبياء يأتي من خلال العمل والاقتداء ، واحتفالات المواليد ليس من تراث الأنبياء في شيء ! ولو كانت لحظة حقيقة بالاحتفاء لكانت اللحظة التي نزل الوحي (باقراً) على قلب نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام .
- ميلاد الإنسان الحقيقي ليس هو تلك اللحظة التي ولد فيها ولا ذلك الرقم المرسوم في ذاكرتها ، وإنما اللحظات التي يعثر فيها الإنسان على الهداية ويتذوق فيها شرف الرسالة ، ويجد له هدفاً كبيراً يخوض غماره ومشروعاً يعيش من أجل ذكرياته .
- الكبار لا تبجلهم لحظات الميلاد ، ولا ترفع من شأنهم ذكريات الزمان والمكان وإنما المسافة الفاصلة بينهم وبين أحلامهم هي التي من شأنها إحداث تلك الذكريات .
- ولد صلى الله عليه وسلم يتيماً ، والكبار لا تفصلهم أحداث اليتيم عن مجريات الحياة الكبيرة ، وإنما تزيدهم قناعة أنهم في حاجة لمزيد عناية بذواتهم وتأهيل لشخصياتهم . والزمن شاهد فكم من يتيم ومعوق جاوزوا كل

الظروف المحيطة بهم وكتبوا أن هذه العقبات هي التي دفعت بهم لعروش المجد من جديد .

● هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف ، والأسماء لها أثر على أصحابها ، وقل أن تجد اسماً جميلاً رائعاً إلا وله ظلال وارفة على صاحبه . والأسرة مسؤولة عن اختيار أسماء أبنائها ، فعليها أن ترعى هذا الحق قدره وكم من عائد على صاحبه بعد طول زمان ! .

● توفي والده عبد الله وهو حمل في بطن أمه وتوفيت أمه وعمره ست سنين والوالدان لا يصنعان مجد إنسان ! وكم من يتيم بنى عرشاً لنفسه دون أبوين ! والتاريخ المعاصر شاهد فضلاً عن سير الغابرين !

● وأرضعته كل من ثوية مولاة أبي لهب ، وحليمة السعدية ، وحواضنه أم أيمن وبركة الحبشية . وتولت أم ايمن رضي الله تعالى عنها حضانته صلى الله عليه وسلم وعنيت به في باكر عمره حتى كبر صلى الله عليه وسلم فأعتقها وفاء لتلك الأيام ، والكبار يحفظون المعروف ، ويردون جميل الأيام حين يجدون فرصاً سانحة لذلك . وقل أن تجد كبيراً تسديه يوماً شيئاً من جميل إلا عاد إليك بعد ذلك بأكثر مما بذلت .

● رضع في البادية عند حليمة السعدية ، واللبن له أثر على صاحبه ! والبوادي تصنع جزءاً كبيراً من حياة الرجال ، ومن فقه الأم بولدها الرضيع وفقه زوجها ألا يمكن ابنيهما من رضاع كل امرأة ، وإنما عليهم أن يحسنوا الاختيار وإن دخيل الأخلاق في مرات كثيرة يأتي من خلال لبن الرضاع !

● رعى صلى الله عليه وسلم الغنم والإنسان لا ينفك في الأصل عن بيئته التي نشأ فيها ، والعمل شرف وخير ما أكل الإنسان من أثر يده ، وفرق كبير بين عاطل ينتظر عطاء المحسنين ، وآخر ينقب الجبل لشرف نفسه وعز مستقبله . والمتسولون في عارضة الطريق لا يصلحون لقيادة الخلق ودناءة الهمم لا تبوء الإنسان مقامات الكبار .

● ليست التربية حديثاً مفصلاً عن الواقع ، وإنما هي تجربة عملية يخوض الأجيال فيها غمار العمل والتضحيات .

● إن الأسرة الراشدة ، والمؤسسات الفاعلة هي التي تحاول جاهدة في تكوين شخصيات أجيالها من خلال العمل في البيت ، والمؤسسة ، وتولي أجيالها جوانب كثيرة في إدارة الأعمال والمشاريع مما يكون له شأنه في قادم الأيام .

● علينا أن نحاول أن نوكل بعضاً من المسؤوليات لأبنائنا بدءاً بمسؤوليته عن غرفته ، وعنايته بها ، وغسيله لثيابه ، وتسليمه مصروفه الأسبوعي أو الشهري ، وتعيين الأكبر مسؤولاً عن إخوانه وهكذا حتى تكبر تلك الأجيال وأجسادها وأفكارها مغموسة في العمل والبناء لا مفصولة عنها، ومثل ذلك مع الأجيال التي يراد لها القيام بمشاريع على مستوى مجتمعاتها وأمتها في قادم الأيام .

● عاش صلى الله عليه وسلم يمارس حياته كأبي شاب في ربوع مكة ، واستقبل حادثاً حين كان عمره ما بين الثلاث سنوات والأربع ، أتاه جبريل فصرعه فشق عن قلبه واستخرج منه حظ الشيطان ، ثم غسله بماء زمزم، ثم لأمه من جديد . وهذا شأن الأنبياء ولا طريق لنا إليه ، غير أن الأسرة قادرة على

بذل الأسباب الممكنة التي تأتي بمثل هذه المباهج الكبرى في حياة أبنائها في مستقبل الأيام . وإذا كانت الأجيال أولوية ومشاريع كبرى في حياتنا استطعنا أن نبني لهم أحلام الغد المثير بإذن الله تعالى .

- من الغبن أن تذهب كل أموالنا أو أكثرها في بناء بيت من حَجَر ويفوتنا أن نبذل جزءاً من أموالنا في تربية هذه الأجيال (مشروع الحياة الكبير) .
- لقد صنع محمد صلى الله عليه وسلم لأمته مجد الدارين ، وقصة الرضاع في البداية ، ورعي الغني ونحوها كانت خطوات لتأهيل هذه الشخصية ، والأبناء مشاريع . كبرى حين يعتنى بها ، وتدفع لها الأوقات والأموال تأتي بمثل هذه الأحداث الكبرى في واقع الأيام . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : (أو ولد صالح يدعو له) .

(صفاته الخلقية)

- لم يكن صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا بالقصير ، ولا الأبيض الأمهق ، ولا بالآدم ، ولا بالجعد القلط ، ولا بالسبط ليس في لحيته ورأسه عشرون شعرة بيضاء .
- وكان صلى الله عليه وسلم يخضب شعره الأبيض في حين ويتركه في حين آخر ، ولم يأت في حديث صحيح أنه كان يكتحل ، وإنما جاءت وصيته بالكحل في قوله صلى الله عليه وسلم : (اَكْتَحِلُوا بِالْإِثْمِدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ). وإذا اكتحلت إجلالاً لتوجيهه ورغبة في حصول ما ورد نلت ما قصدته في الدارين .

وكان صلى الله عليه وسلم شثن الكفين والقدمين ، طويل المسربة أي الشعر الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة . وكان أشكل العين أي طويل شق العين ، منهوس العقب أي قليل لحم العقب . وكان وجهه صلى الله عليه وسلم كالقمر أبيض كأنما صيغ من فضة ، وكان صلى الله عليه وسلم مربعاً بعيد ما بين المنكبين تبلغ جمته إلى شحمة أذنيه ، وليس في ذلك سنة تأتسى وإنما عادة كانت تجري منه صلى الله عليه وسلم على حالة العرب تلك الحقبة . وكان في ظهره خاتم النبوة كالغدة الحمراء مثل بيض الحمامة . ولولا شرف معرفته صلى الله عليه وسلم لما جرى الخبر بذكر صفة خلقية ! وفقه هذه الصفات نافع في المقارنة حين تراه صلى الله عليه وسلم في المنام وقد قال : (مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي) . وكم من سارت الركبان بدم خلقته ما برح الأرض حتى أثار فيها أحداث التحديات ! وفي الصحيح : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ إِذَا يَنْظُرُ إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ) .

(أحواله الشخصية وصفاته الخلقية)

- كان صلى الله عليه وسلم بسيطاً لا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً، فما قُرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله إلا أن تعافه نفسه ، وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه . وربما ربط على بطنه من الجوع ويؤرى الهلال ، والهلال ، والهلال ولا يوقد في بيته نار لطعام . وكانت صفته على الأرض ، ويأكل بأصابعه الثلاث ويلعقها إذا فرغ مسمياً في

أوله حامداً في آخره . وكان لا يأكل متكثاً وكان أحب الشراب إليه
الحلو البارد . وما شبع من طعام خبز قط ولا لحم . ولو لم يكن في أكله
إلا هذه الجملة : لا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً وما عاب طعاماً قط
إن اشتهاه أكله وإلا تركه لكانت كافية عن كل ما يكتب في هذا
الشأن . وكذلك الكبار لا يهتمون كثيراً بمثل هذه الجوانب ويمضون
لغاياتهم الكبرى وتظل هذه الصور مجرد وسائل للعيش ، وقد قال الإمام
أحمد رحمه الله تعالى : إنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس وأيام
قلائل . اهـ

● وكان يلبس العمامة وإذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه ، وهذا من
العادات التي جرى عليها زمانه صلى الله عليه وسلم وليس سنة تقتدى
في مثل زماننا ! ولبس القميص ، وكان أحب الثياب إليه ، ولبس الإزار
والرداء ، وكانت أزرتة إلى أنصاف ساقيه ، وكان يلبس خاتماً من فضة،
وكان نقش خاتمه (محمد رسول الله)، وإنما لبسه صلى الله عليه وسلم
للحاجة فقد كان يختم به على رسائل الملوك التي يبعثها فمن كان كذلك
فهو سنة في حقه ، ومن لا فلا . والأصل فيما فعله النبي صلى الله عليه
وسلم بمقتضى التشريع الاقتداء ، وما فعله صلى الله عليه وسلم بمقتضى
العادة فالسنة أن يفعل الإنسان عادة بلده وأهل مجتمعه وألا يتميز عليهم
بنوع من ذلك فيكون أقرب إلى الشهرة المنهي عنها ، وكان إذا شرى ثوباً
قال : (اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ الرِّدَاءَ أَوْ الْعِمَامَةَ، أَسْأَلُكَ
خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ) ، وكان إذا

لبس قميصه بدأ بيمينه ، وكان يعجبه صلى الله عليه وسلم التيمن في
تعله وترجله وطهوره .

• وكان ينام على الفراش تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى السرير تارة ،
وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال : (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا)،
ويقول: (الحمدُ لله الذي أطعمَنَا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم مَن لا كافيَ
لَهُ ولا مُؤويَ) وكان يجمع بين كفيه ثم ينفث فيهما ويقرأ : المعوذات
الثلاث ثم يمسح ما استطاع بهما من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات .
وكان ينام على شقه الأيمن ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ثم يقول :
(رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ) . وإذا استيقظ قال: الحمدُ لله
الذي أحيانا بَعْدَ أمانتنا وإليه النُّشور) ثم يتسوّك وربما قرأ العشر الآيات
الأواخر من آل عمران من قوله تعالى : (إن في خلق السموات
والأرض) فتأمل هذه الحياة القائمة على ذكر الله تعالى في كل حركة من
حياته ! وانظر إلى آثارها في واقعه صلى الله عليه وسلم ! وكان ينام أول
الليل ، ويستيقظ آخره . ويحث على نوم القيلولة فيقول صلى الله عليه
وسلم : (قيلوا فإن الشياطين لا تقيل) ، وأرشد صلى الله عليه وسلم عبد
الله بن عمرو إلى فضيلة التوازن ورعايتها في حياته فقال له : (قُمْ وَنَمْ،
وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ
لِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا) .

• وباع صلى الله عليه وسلم واشترى ، وكان شراؤه أكثر من بيعه ، وأجر
واستأجر ، ووكل وتوكل ، وأهدى وقبل الهدية وأثاب عليها ، واستدان

صلى الله عليه وسلم ورهن من أجل ذلك الدين ، واستدان دون رهن وكان أحسن الناس معاملة إذا استسلف سلفاً قضى خيراً منه ودعا له قائلًا : (بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد والأداء).

● وحلف صلى الله عليه وسلم في أكثر من ثمانين موضعاً ، وكان يستثني في يمينه تارة ، ويكفر تارة أخرى ، ويمضي فيها ثالثة ، وتشفع وشفع إليه وردت بريرة شفاعته في قضية مغيث .

● وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ، داعب أختاً لأنس يا أبا عمير ما فعل النغير ! وسأله رجل أن يحمله على دابة فقال صلى الله عليه وسلم : (إنا حاملوك على ولد الناقة) فقال يارسول الله ما أصنع لولد الناقة ؟ قال : وهل تلد الإبل إلا النوق ! ولقي زاهراً يبيع متاعاً فاحتضنه من الخلف وهو لا يراه وهو يقول : (من يشري هذا العبد) ؟ فيقول زاهر : إذا والله تجدني كاسداً فقال صلى الله عليه وسلم : (لكنك عند الله تعالى لست بكاسد) وجاءته عجوز فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال : (يا أم فلان ! إن الجنة لا تدخلها عجوز) فولت تبكي فقال : (أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز)

● وكان يتكلم بكلام فصل يحفظه من جلس إليه لا يسرد الكلام سرداً وكان يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه . وكان دائم البشر فلم ير إلا متبسماً وكان جرير رضي الله تعالى عنه يقول : ولا رأني صلى الله عليه وسلم إلا تبسّم . فله ما أبلغ ما يترك صلى الله عليه وسلم في نفوس من يراه وهو

يهبهم من معاني الفرح والسرور ما يبهج قلوبهم ويثير مشاعرهم في كل حين .

● وكان متواضعاً ، تأتي المرأة إليه فتقول إن لي بك حاجة ، فيقول اجلسي في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك . وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة . أي الدهن المتغير . فيجيب . وكان يكره قيام الناس له وكان يقول : (لو أهدي إليّ كراع لقبلت ، ولو دعيت إليه لأجبت) ، وأجاب الصحابي الذي سأله أن يصلي له في بيته ، وأجاب مليكة رضي الله تعالى عنها لما دعته إلى بيتها وصلى بها مع أنس رضي الله تعالى عنهما على حصير قد اسود من طول ما لبس . فتأمل هذا القرب من الناس والتبسط إليهم ، وإجابة دعوتهم مع ما ينوء به من أعباء الدعوة والرسالة !

● كان صلى الله عليه وسلم شجاعاً ، قَالَ الْبَرَاءُ: (كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَادِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . وفي حين لما فر القوم بقي على بغلته يصارع القوم ويردد: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . وفرغ أهل المدينة ليلة من وجبة صوت فهرعوا إليه ، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مقبل من جهة الصوت وهو يقول : لم تراعوا .. لم تراعوا!.

● وكان صلى الله عليه وسلم جواداً ما سئل شيئاً إلا أعطاه ولو كان ثوبه قال لأبي ذر ذات مرة : ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً تمضي عليه ثلاثة وعندي منه دينار إلا شيئاً أرسده لدين ، إلا أن أقول به في عباد

الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله . وصلى مرة وخرج مسرعاً فقبل له في ذلك فقال : ذكرت وأنا في الصلاة تبرا عندنا فكرهت أن يمسي عندنا فأمرت بقسمته . وباع من جابر جملاً ولما أراد أن يقضيه الثمن قال : خذ جملك ودراهمك هو لك . وما يصنع صلى الله عليه وسلم بالمال إن لم يكن لمثل هذه المعاني الكبار ! ما فرح عاقل بالمال إلا حين يعين على هذه المباهج الكبرى في الحياة . ! وفي الحديث : (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ)

• وكان رحيماً رفيقاً يدخل في الصلاة يريد إطالتها فيقلقه بكاء الصبي فيعجل بها لوجد أمه عليه . وكان يقبل الصبيان ويمسح على رؤوس الأيتام ، وكان يتأخر في السجود في صلاة الجماعة لأن طفلاً ارتحله فيتزكه ليقضي حاجته . وكان يحمل الحسن والحسين فيصعد بهما إلى المنبر ويقبلهما ويقول : هذان ريجانتي من الجنة .

• وكان حليماً يحب العفو ، سأله ملك الجبال أن يطبق على أهل مكة الأحشبين فرفض رغم ما صنعوا فيه ، وعفى عن ابن أبيّ رغم كل الأذى الذي ناله منه حتى في عرضه ، بل كفنه في ثوبه وصلى عليه عند موته واستغفر له . وكان يقول : (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

(تعامله مع زوجاته صلى الله عليه وسلم)

• تزوج صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة زوجة وهن : خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر ، وسودة بنت زمعة العامرية ،

وزينب بنت جحش الأسدية ، وزينب بنت خزيمة الهلالية ، وأم سلمة هند بنت أمية المخزومية ، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية بنت حيي النضرية ، وقد مات عن تسع منهن ، وماتت زينب بنت خزيمة وخديجة قبله صلى الله عليه وسلم .

● كان صلى الله عليه وسلم نموذجاً للزوج الصالح في التعامل مع أزواجه فقد كان صلى الله عليه وسلم يحرص على مجالسة زوجاته ومؤانستهن كل يوم يصلى الصبح ثم يجلس في مصلاه ويجلس إليه الناس حتى تطلع الشمس ثم يدخل على نسائه امرأة امرأة يسلم عليهنّ ويدعو لهن فإذا كان يوم إحداهن كان عندها ، ويأتي آخر النهار فيدخل على كل واحدة فيدنو منهن ويباشر من غير جماع . حتى إنه في ليلة عرسه على زينب بنت جحش خرج إلى عائشة فقال لها السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ، فقالت له وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك بارك الله لك ، ثم فعل ذلك مع نسائه كلهن وعاد إلى مباهج عرسه مشحوناً بمشاعر الرضا والإيناس التي تعيشها أزواجه في تلك البيوت . وكذلك يصنع الكبار ، وحاجة البيوت إلى الإيناس والسؤال والحب من أعظم الحاجات !

● ولم يكن صلى الله عليه وسلم يصنع هذا الإيناس الفردي فحسب وإنما كان يجتمع كل ليلة في بيت الذي يأتيها ، وتتحوّل الحياة إلى لحظات مسائية مبهجة في الواقع يأتي منها الزوج على أمانيه في هذا الشأن الكبير .

● وكان صلى الله عليه وسلم إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه ، وإذا خرجت إحداهن معه في ذلك السفر خرج معها في ليل السفر يتحدث إليها ويؤانسها ، ويأتي على قلبها بمشاعر الحب والوجدان .

● وكان صلى الله عليه وسلم وفيماً لزوجاته حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صديقاتها فرمما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : (إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد) . وكان صلى الله عليه وسلم يأتي بالشيء فيقول : (اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت تحب خديجة) . واستأذنت ذات مرة هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال : اللهم هالة (اللهم اجعلها هالة) فغضبت عائشة لذلك فقال لها : (ما أبدلني الله تعالى خيراً منها فقد آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني إذا كذبتني الناس وواستني بما لها إذا حرمني الناس ورزقني الله تعالى ولدها إذا حرمني أولاد النساء) . ودخلت عليه عجوز فأحسن استقبالها ووفادتها وإكرامها فقالت له عائشة رضي الله تعالى عنها تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ! فقال : (يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان) . فيا لله ما أروع هذه الذكريات ! وما أطف

هذه المشاعر ! وما أبهج هذه المعاني في واقع إنسان ! وحق هذا الحرف أن يعاد مراراً على قلوب كثيرين .

● كان صلى الله عليه وسلم يعبر عن هذه المشاعر الوجدانية تجاه خديجة بقوله (إني رزقت حبها) . وسئل صلى الله عليه وسلم من أحب الناس إليك! فقال : عائشة ! وكان يدللها فيقول يا عائش ! وياحميراء ، ويكنيها يا أم عبد الله ! .

● وتحول الحب في بيته صلى الله عليه وسلم إلى حياة عملية تطبيقية فقد كان يقبل زوجه ثم يخرج للصلاة ، ويقبل وهو صائم ، ويباشر وهو صائم ، وكان يشرب من المكان الذي تشرب منه عائشة ، ويأخذ عظم اللحم من يدها ثم يأكل من الموضع الذي أكلت منه ، وكان يتكئ في حجرها يقرأ القرآن وربما نام على فخذه وربما نام معها في لحاف واحد وهي حائض ، وكان يغتسل مع زوجاته في إناء واحد ويمزحان في ذات الوقت فتقول دع لي ، دع لي ، ويقول دعني لي دعني لي . وتأمل كم في هذه الأحداث من مشاعر ! وكم فيها من معاني للحب والإجلال ! والبيوت لا تجدد بهجتها إلا بمثل هذه المعاني .

● وكان صلى الله عليه وسلم يصحب زوجاته معه للولائم فقد صنع جار له فراسياً مرقاً ثم جاء يدعوه فقال : وهذه لعائشة ! فقال لا ، فعاد يدعوه فقال : وهذه فقال لا ، ثم عاد يدعوه فقال وهذه ، فقال نعم فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله .

● وإذا زارته إحداهن احتفى بها احتفاءً رائعاً ، وقد زارته ذات مرة صفية رضي الله تعالى عنها في معتكفه ليلاً فتحدثا ثم حين أرادت العودة قام مواسياً موادعاً مصاحباً لها في الطريق راعياً لمشاعر الحب التي خطت بها إلى مصلاه.

● وكان صلى الله عليه وسلم يرعى مشاعر أزواجه ويطيب قلوبهن ، قال مرة لعائشة رضي الله تعالى عنها : (إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غضبي) قالت : ومن أين ذلك ؟ قال : (إذا كنت عني راضية قلت : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبي قلت : لا ، ورب إبراهيم) . قالت رضي الله تعالى عنها : أجل يارسول الله ما أهرج إلا اسمك . ولما قالت حفصة لزينب بنت حبي رضي الله تعالى عنهما : إنك ابنة يهودي فبكت لقولها ذلك دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك ؟ فقالت : قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنك لابنة نبي ، وإن عمك لنبي ، وإنك لتحت نبي ، ففيم تفخر عليك) ولما فجأ عائشة رضي الله تعالى عنها الحيض في قصة السفر إلى مكة ولم تتمكن من العمرة طيب خاطرها ورعى مشاعرها وأمر أخاها عبد الرحمن أن يعمرها من التنعيم . وإذا مرضت إحداهن وقف معها لحظات المرض وحاول جاهداً أن يمسح تلك المعاناة التي تلم بها وقد كان يأتي إليها في مرضها فيمسح بيده على موضع الألم ويدعو لها . ولما برك جمل صفية رضي الله

تعالى عنها في الطريق في رحلة الحج وبكت لتأخرها جاء إليها صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح دموعها بيده.

● وكان صلى الله عليه وسلم يساعدهن في شؤون البيوت فقد سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته؟ فقالت رضي الله تعالى عنها : كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة . وكان يخيظ ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم . ويقول : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) .

● وسجّل جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه كلمة جامعة في تعامله مع زوجه فقال : وكان صلى الله عليه وسلم رجلاً سهلاً إذا هويت شيئاً تابعها عليه . وحق هذه الكلمة أن تدوّن بمداد من ذهب ! من ذلك أنه كان يفسح لأهله في المتعة المباحة ويأذن بذلك ، رأى الحبشة يلعبون ذات يوم فقال يا عائشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحي على منكب رسول الله فجعلت أنظر إليهم وهو يقول : أما شبعت ، أما شبعت ! فجعلت أقول : لا لأنظر منزلي عنده . وكان يرتخص لزوجاته صلى الله عليه وسلم في سماع الغناء المباح في الأعياد والأعراس قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : دخل رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعات - وهو يوم جرى فيه قتال بين الأوس والخزرج - فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فانتهرني فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (دعهما) . وكان صلى الله عليه وسلم يدخل إلى عائشة جوار يلعبن معها

مراعاة لصغرهما وتلبية لمشاعرهما . ودخل عليها حين قدومه من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة تلعب بمن فقال ما هذا يا عائشة ؟ قالت : بناتي ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع فقال : ما هذا الذي أرى وسطهنّ ؟ قالت : فرس ، قال : وما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان ، قال : فرس له جناحان ! قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ فضحك حتى رأيت نواجذة . وأكد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله فقال : (كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو إلا أربع خصال .. وملاعبة الرجل لأهله). قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره وأنا جارية أحمل اللحم ولم أبدن فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ثم قال لي : تعالي ، حتى أسابقك فسابقته فسبقتني فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدموا ، فتقدموا ثم قال : تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقتني فجعل يضحك وهو يقول : هذه بتلك . وقالت رضي الله تعالى عنها زارتنا سودة يوماً فجلس رسول الله بيني وبينها إحدى رجله في حجري والأخرى في حجرها فعلمت لها حريرة : (حساء مطبوخ من الدقيق والدسم) فقلت لها كلي فأبت ، فقلت والله لتأكلن أو لأطحنّ وجهك فأبت فأخذت من القصعة شيئاً فلطّخت به وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذها لها وقال لسودة : أطخي وجهها فلطّخت وجهي فضحك صلى الله عليه وسلم. وكانت زينب رضي الله تعالى عنها تفلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند امرأة

عثمان بن مظعون ونساء من المهاجرات وهن يشتكين منازلهن فتكلمت زينب وتركت رأس رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : (إنك لست تكلمين بعينيك تكلمي واعلمي عملك) .

● ومع هذه المشاعر التي كانت تملأ بيوته صلى الله عليه وسلم لم تكن سالمة من شيء من النزاع والخصام طبيعة الإنسان فقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تخصمه صلى الله عليه وسلم وربما ترفع صوتها فيدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه ويريد ضربها فيحول النبي صلى الله عليه وسلم بينهما فلما ولي أبو بكر قال صلى الله عليه وسلم لها : (ألا ترين أني قد حلت بينك وبين الرجل) ، ثم عاد أبو بكر فاستأذن عليه فوجده يضحكها فقال: يارسول الله أشركاني في سلمكما كما أشركتmani في حربكما . وقد كانت الواحد منهن رضي الله تعالى عنهن جميعاً يراجعنه في الأمر ويهجرنه ، ويحتمل صلى الله عليه وسلم كل ذلك ويصبر عليه. وقد اجتمعن عليه صلى الله عليه وسلم مرة يطلبن النفقة فسكت عنهن وهن يطلبن ، ثم عرض عليهن صلى الله عليه وسلم البقاء معه على ظروفه أو الفراق كما في قول الله تعالى : (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا . وَإِن كُنْتُمْ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) ولم يغضب ، ولم يستعجل ، ولم يهدد صلى الله عليه وسلم بل جعل ذلك حرية لمن أرادت

الفراق أو البقاء للدرجة التي كان صلى الله عليه وسلم يقول لكل واحدة :
(إني ذاكرك أمراً فلا عليك ألا تستعجلي) .

● وكان صلى الله عليه وسلم يرمى كل ما يجلب الود ويدعم مشاعر الحب من النظافة والزينة فقد كان حريصاً على السواك وأول ما يدخل بيته يبدأ بالسواك ، ولا يرقد في ساعة من ليل أو نهار إلا استاك قبل وضوئه . وحُب إليه الطيب ، وكان يكره أن توجد منه الرياح الكريهة وترك كثيراً من المباحات كالثوم والبصل رعاية لهذا الجانب في حياته . وكان صلى الله عليه وسلم يكرم شعره ويرجله .

● وكان صلى الله عليه وسلم مع هذه المشاعر الفياضة والأخلاق الرائعة يريهن على الفضيلة والعمل الصالح فيوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان ، ولما ضرب له خباء ليعتكف فيه فعلم أزواجه مثله فقال : (آلبر تردن!) ثم أمر بجنائنه فأزيل وقال : (انزعوها فلا أراها) . وكان يعلمهن الأذكار فقال لجويرية : (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) . وقال لعائشة : (استتري نفسك من النار ولو بشق تمرة) .

● وكان صلى الله عليه وسلم يربي على اعتدال الفكر والنظرة في الأمور سأل عائشة مرة فقال : (كم بقي من الشاة) ؟ قالت ما بقي إلا كتفها ، فقال (كلها قد بقي إلا كتفها) . لأن المتصدق به هو الباقي .

● وكان يشجع صلى الله عليه وسلم على الصدقة فقال : (أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً) . يريد الصدقة . ولما تكلمت عائشة حين مات صبي فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء فقال : (أو غير ذلك ياعائشة إن الله خلق للجنة أهلاً ، وخلق للنار أهلاً) . وما رأته عائشة محل إجماع إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يربيهما على عدم القطع والتسرع في أمور الآخرة . وقال لها ذات مرة : (يا عائشة عليك بالرفق فإنه لم يك في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه) . ولما حكى له إنساناً قال يا عائشة : (ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا كذا) . وكان يقول يا عائشة : (إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً) . ولما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : حسبك من صفة فقال : (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) .

● وكان صلى الله عليه وسلم يحسن الظن بأزواجه فكان لا يأتي أهله في الليل ونهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً يتخونهم أو يلتمس عثرتهم .

● والقاعدة الكبرى في هذا الشأن : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ، (وَكُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) . وأوصى صلى الله عليه وسلم فقال : (استوصوا بالنساء خيراً) ، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأته ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله . ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أن قوماً يضربون نساءهم قال : (أولئك ليسوا بخياركم) .

- وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى قواعد كبرى في التعامل فقال : (وَاسْتَوْصُوا
بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلُقُنَّ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ
ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ؛ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، وفي رواية: المرأة كالضِّلَعِ:
إِنْ أَقَمْتَهَا كَسْرَتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ) وقال صلى
الله عليه وسلم : (لَا يَفْرُقُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا
آخَرَ) . ومن علم أصل هذا الضعف في المرأة ، وتدرّب على هذه القواعد
أعاد بيته بهيجاً بمشاعر الحب وفن التعامل .

(تعامله مع أولاده صلى الله عليه وسلم)

- كان له صلى الله عليه وسلم ثلاثة من البنين (القاسم ، وعبد الله ،
وإبراهيم) وكلهم من خديجة إلا إبراهيم من مارية القبطية ، وتوفي كلهم في
الطفولة . وأربع من البنات (زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، وكلهم
من خديجة وكان يقول صلى الله عليه وسلم : (مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ
بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ) .

- وكان صلى الله عليه وسلم يشاورهن في أمر زواجهن فقد قال لفاطمة لما
خطبها علي : (إن علياً قد ذكرك) فسكتت فخرج فزوجها . وزوجها صلى
الله عليه وسلم على درع الحطمية . وكذلك الكبار لا تعينهم تكاليف الزواج
في شيء ، وإذا وجد الرجل الصالح الذي يحسن عشرتها فقد وجد كل شيء
ولم تكن قضية الزواج عنده صلى الله عليه وسلم خطبة وزواج ، وإنما اعتنى
بها صلى الله عليه وسلم حتى ليلة البناء فقال لعلي : لا تحدث شيئاً حتى

تلقاني فدعا رسول الله بماء وتوضأ فيه ثم أفرغه على عليّ فقال : (اللهم بارك فيهما وبارك لهما في بنائهما) فتأمل مشاورة بنته في زواجها ، وتيسير مهرها ، ورعايتها لها حتى ليلة الزفاف ودعائه لهما لترى ملامح المسؤولية ترعى هذا الحق وتقوم بواجب ، وتهيء لنجاحه ، وتتابعه حتى النهاية . وكان صلى الله عليه وسلم يرعى شؤونهن حتى بعد الزواج ولما أراد الخروج لبدر كان يشغله مرض بنته رقية رضي الله تعالى عنها فأمر زوجها عثمان أن يتخلف عن الغزوة ويبقى في المدينة ليمرضها وضرب له بسهم في مغنم بدر . ولم يكن صلى الله عليه وسل يتدخل في مشكلات بناته مع أزواجهن فقد مر ذات يوم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وسألها عن زوجها فقالت : غاضبني فخرج ولم يقل عندي فبحث عنه فوجده في المسجد مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله يمسحه عنه ويقول : (قم أبا تراب ، قم أبا تراب)! ولم يحدثه عن شيء من مشكلاته . وللببوت أسرار وليس من شأن الكبار السؤال عن تلك الأسرار ويكفي رعاية المشاعر والسؤال فإذا ما فوتح في مشكلة شارك في حلها وإلا لم يكن من شأنه أن يبحث عنها .

● وإذا زارته صلى الله عليه وسلم إحدى بناته أحسن استقبالها واحتفى بقدمها . قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : وإذا دخلت عليه فاطمة قام إليها فقبلها وأجلسها مجلسه . وكان يرحب بها مرحباً بابنتي . فله كم في

هذا التعامل من رقي ! وكم فيه من فنون الأخلاق التي يديرها صلى الله عليه وسلم في رحاب بيته .

● وكان صلى الله عليه وسلم مع هذه المشاعر يرمى دينهن وتربيتهن حتى وهن عند أزواجهن فقد دخل مرة على باب فاطمة رضي الله تعالى عنها فوجد عليه ستراً فلم يدخل عليها ورجع قائلاً لعلي رضي الله تعالى عنه : (قل لها أن ترسل به إلى بني فلان أهل بيت بهم حاجة) . وقد كره لها ما كره لنفسه من استعجال الطبيات والركون إلى الدنيا . ولما شكت إليه فاطمة رضي الله تعالى عنها ما تلقى في يدها من الرحي وسألته خادماً فقال لها : (أَلَا أُعَلِّمُكُمْ خَيْرًا مِّمَّا سَأَلْتُمَنِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمْ تُكَبِّرَانِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ) . وكان يدعوها صلى الله عليه وسلم إلى تحمّل المسؤولية : (يافاطمة انقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئاً) . وجاء مرة إليهما ليلاً فقال لهما ألا تصليان !. وقال لها مرة : (يافاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي ياقيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) . فتأمل هذه الرعاية ! وانظر إلى هذه المشاعر الوجدانية ، وتحيل مساحة الحب التي كان يتركها صلى الله عليه وسلم في نفوس بناته ! ويأسرك كثيراً هذا التكامل البهيج بين المشاعر والعواطف والعقل والجسد في صور لا يصنعها إلا

الكبار! وإذا أراد الأب أن يبيّن ذات الأماني في واقعه فعليه أن يحسن السير في ذات الطريق .

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع الصغار)

- كان يؤتى إليه صلى الله عليه وسلم بالصبيان فيحنكهم (يمسح تمره ثم يدلك بها حنك الصغير) ويبولون على ثيابه ولا يجد غضاضة في ذلك . وكان صلى الله عليه وسلم يؤم الناس ويحمل أمانة بنت أبي العاص بنت بنته زينب على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع من السجود أعادها . وخرج مرة في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسينا فتقدم فوضعه ثم كبر للصلاة وصلى فسجد سجدة أطالها قال شداد راوي الحديث فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد فرجعت إلى سجودي فلما قضى الصلاة قال الناس إنك سجدت سجدة أطلتها حتى ظننا أنه حدث أمر أو أنه يوحى إليك ، قال : (كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته) وكان الحسن والحسين يثبان على طهره إذا صلى فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رقيقاً ووضعهما على الأرض فإذا عاد عادا حتى إذا قضى صلاته أقعدهما على فخذي . وقَبَلَ صلى الله عليه وسلم الحسن وعنده الأقرع بن حابس التميمي فقال: إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ) . وخرج مرة فإذا بالحسين يلعب في الطريق فتقدم صلى الله عليه وسلم أمام القوم وبسط يديه فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا ويضحكه النبي حتى أخذه صلى الله عليه وسلم .

● وأتى صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء فقال اتتوني بأمر خالد فألبسها صلى الله عليه وسلم بيده ثم يداعبها مع صغرها قائلاً : (سنا يا أم خالد) . أي جميل . يكتي ويثني ويفرح ويلبس بيده وتلك النماذج التي تستحق أن تمنحها القلوب كل مشاعر الحب والوجدان . وكان يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول لها : (يازوينب ، يازوينب) ! ودخل عليه محمود بن الربيع ابن خمس سنوات فمج في وجهه بالماء ، وكان يكتي الصغار ويعتني بشؤونهم ويغمرهم بالسؤال جاء ذات مرة إلى أخ لأنس بن مالك يسأله عن عصفوره الصغير : يا أبا عمير ما فعل النغير! والكبار رغم مسؤولياتهم يجدون أوقاتاً حتى للصغار ، ويهبون لهم من مشاعر الحب ما يكفي لإدخال الفرح على حياتهم . وكان صلى الله عليه وسلم يحترم الأطفال ويقدرهم وقد أوتي بشراب فشرب منه وعلى يمينه غلام ، وعلى يساره أشياخ التفت إلى الطفل وقال : أئذان لي أن أعطي هؤلاء ! والقيم لا يكتبها مجرد حديث عابر وإنما تحتاج إلى قدوات ترسم معالمها بقوة ، وتترك آثارها تطبيقاً مثيراً في واقع العمل .

● وكان صلى الله عليه وسلم يعنى بالتربية ولم تنفصل التربية في حياته صلى الله عليه وسلم عن المشاعر التي كان يهبها لمن حوله ، بل كان يقدم ما يكفي للحب والتقدير ثم ما يلبث أن يضع رسالته ويبيّن قيمه في نفوس المستقبلين. رأى الحسين يأخذ ثمرة من تمر الصدقة فقال : (كخ كخ . أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة) . وعلم عبد الله ابن عباس في صغره : (ياغلام احفظ الله يحفظك) . وقال لأنس : (يابني إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك) . ولما رأى يد عمر بن أبي سلمة تطيش في الصحفة قال له : (ياغلام سم الله وكل بيمينك ، وكل مما يليك) .

- مشكلة كثيرين أنهم يتسورون القلوب والمشاعر كما يتسورون الجدران ، ويريدون أن تصل رسالتهم وتُستقبل بالترحاب وهم لم يبنوا لها جسراً من الحب ترقى عليه وتعانق القلوب في أبهج لحظاتها .
- مهما بلغ حرص المرابي على طلابه ، والوالد على أولاده لن يتحقق لهما شيئاً إلا من خلال مشاعر الحب والتقدير والاحترام ، وما لم يعيش المترابي أجواء هذه المشاعر سيظل ضعيف الاستقبال ، قليل الفاعلية ، والأجواء التي لا تشحنها القلوب بالحب تبطئ طويلاً في تعاطي الأحلام التي تراد منهم في مستقبل الأيام .
- يمكن أن يبذل الإنسان حباً مشاعرياً للمترابي ، ويجهد في إظهار الحب عن طريق كلمة أو رسالة أو موقف لكن أن يقوم له ويستقبله ويجلسه مكانه فتلك صورة لم تر بوضوح في التربية المعاصرة تنظيراً فضلاً عن ممارسة تطبيقية في واقع الحياة .

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع الأقارب)

- كان صلى الله عليه وسلم يعرف للأقارب حقهم حتى قال صلى الله عليه وسلم : (أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي) ، وزار قبر أمه بعد موتها فبكى صلى الله عليه وسلم واستأذن ربه أن يستغفر لها فلم يؤذن له . وكان حريصاً على دعوتهم للإسلام ويردد في كل حين : (يا معشر قريش اشتروا لأنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس لا إني عنكم من الله شيئاً ، يا صفية عممة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً . غير أن لكم رحماً سألها

ببلاها) . أي سألها بالمعروف . وكان حريصاً على هداية عمه أبي طالب ويردد عند الوفاة : (يا عم قل لا إله إلا الله) . وفي يوم بدر أُتي بالأسارى وفيهم العباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبيّ يقدر عليه أي في الطول فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه . ولما قدم جعفر بعد فتح خيبر قام إليه والتزمه وقبل ما بين عينيه واعتنقه وقال: (ما أدري بأيهما أسر بقدم جعفر أو بفتح خيبر) . وأنزله جنب المسجد وأسهم له في خيبر . ولما استشهد في مؤته جاء إلى أهله فقال: (لا تبكوا على أخي بعد اليوم) أدعوا لي بني أخي قال عبد الله بن جعفر فجيء بنا كأننا أفرخ فقال : ادعوا لي الحلاق فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا ثم جاءت أمنا فقال : (العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة) ! وهذه العناية والاهتمام الذي كان يلقاه أقرابه لم يكن على حساب قيم الشرع ونظمه وقوانينه ، كلا ! فلم يكن يجابي منهم أحداً في دين الله تعالى وحين قال له الأنصار يوم بدر يارسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه قال : (لا تدعون منه درهماً) . وأول دم وضعه من دماء الجاهلية دماء أقرابه ، وأول ربا وضعه ربا العباس . وهكذا الكبار يقومون بحق القرابة الشرعي ويقفون ضد العواطف حين تنحرف عن الطريق . وهذا غاية العدل والإنصاف ، وما أكثر ما تميل النفوس للقرابة ، وتميل القلوب طبيعة وجبلة ! ويضع صلى الله عليه وسلم حداً فاصلاً بين الواجب الشرعي من الحب والتقدير والإكرام وبين العواطف البشرية التي يجدها كل إنسان في قلبه تجاه أهله وأقرابه . والله المستعان !

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع الجيران)

- أبان صلى الله عليه عناية الشارع بحق الجار فقال صلى الله عليه وسلم : (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِيَنِي بِالْجَارِ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ) . وقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) وحدّر صلى الله عليه وسلم غاية التحذير من إيذائهم فقال صلى الله عليه وسلم : (وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ) قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ» ، وأوصى أبا ذر وصية لطيفة فقال : (يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)، وأوصى النساء فقال صلى الله عليه وسلم : (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ) والكبار هم الذين يراعون هذه المعاني ويقومون بحقوقها الشرعية ويجهدون في مد يد المعروف إلى جيرانهم بكل وسيلة ، وما أحوجنا اليوم إلى إعادة وهج هذه المعاني من خلال هذه الجوانب التطبيقية التي أشار إليها صلى الله عليه وسلم .

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع الخدم)

- كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت . وكان يقول صلى الله عليه وسلم : (إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) ، ومرض الغلام الذي يخدمه فعاده صلى الله عليه وسلم ثم دعاه للإسلام فأسلم ، وتألّم على فوات التي كانت تقم المسجد ثم ذهب فصلى على قبرها .

● وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد خدمه ويمر على الواحد منهم ويقول: (ألك حاجة) ! ويكافئهم صلى الله عليه وسلم على قدر عنائهم حتى قال لكعب (سل) قال أسالك مرافقتك في الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم : (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) ، وشدد على حرمانهم من أجورهم فقال : (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : ... ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعط أجره)

● وبلغ من تطفه صلى الله عليه وسلم معهم أنه نهى عن مناداتهم بعبدى وأمتي فقال : (لا تقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله، وكل نساءكم إماء الله، ولكن ليقلن غلامي وجارياتي وفتاتي وفتاتي) وسجل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وصفاً لسيرته صلى الله عليه وسلم : (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلاً فعلت كذا؟) وهو معنى قد لا يتخيله إنسان مع خادمه فضلاً على أن يتمثله كثيرون في واقعهم ! والكبار يصنعون ما يبقى مثيراً في واقع الآخرين .

● ولما رأى ابن مسعود ضرب غلامه قال : (اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام) فقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : هو حر لوجه الله فقال صلى الله عليه وسلم : (لو لم تفعل للفحتك النار) وكان آخر وصية له صلى الله عليه وسلم في الحياة : (الصلاة وما ملكت أيمانكم) .

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع الفقراء)

- كان صلى الله عليه وسلم يعتنم لحال الفقراء ويفزع لظروفهم وأحوالهم ولما قدم عليه وقد مضر ورأى حالهم وظروفهم أمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب وأمر الناس بالصدقة قائلاً : (تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره) حتى قال : (ولو بشق تمره) وكان يتفقد أهل الصفة ويقوم على شؤونهم ، ويجالسهم ويؤانسهم ، وكان يوزعهم على أصحابه فكان الرجل يذهب بالرجل ، والرجل بالرجلين والرجل بالثلاثة والرجل بالعشرة وما بقي منهم أدخله بيته صلى الله عليه وسلم وأطعمهم معه . وكان صلى الله عليه وسلم يسأل كل واحد عن حاجته ، ويقضي حاجة المحتاج منهم . وكان صلى الله عليه وسلم يدعم مشاعرهم ويسليهم ظروفهم قائلاً : (اطلَّعتُ في الجنَّةِ، فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفقراءِ) وكان صلى الله عليه وسلم يسعى في تزويج الصالحين منهم فقد ذهب إلى رجل من الأنصار فقال له : (زوجني بنتك) فقال : نعم وكرامة يارسول الله فقال : لست اريدها لنفسي وإنما لجليبيب) ومع كل هذا كان صلى الله عليه وسلم يريهم على العفة وعدم السؤال ، ويشجعهم على العمل والاعتماد على النفس في أحاديث كثيرة في هذا الباب . وهذا من كمال تربيته وحسن رعايته صلى الله عليه وسلم . والتكامل والتوازن بيني من خلاله الكبار شخصيات قادرة على التفاعل مع واقعها وفق الممكن المتاح .

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع ذوي الهيئات)

- كان صلى الله عليه وسلم يحفظ مكانة الكبار وجاههم في قومهم وحين أسلم أبا سفيان في فتح مكة قال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ) ولما نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله

تعالى عنه وأقبل قال صلى الله عليه وسلم : (قوموا إلى سيّدكم) وكان يتوق إلى إسلام الكبار والمؤثرين ويردد في دعائه : (اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) وكان صلى الله عليه وسلم يخصهم بالدعوة ويعتني بهم وفي مثل هذا نزل عتاب الله تعالى في سورة عبس . وكان يحتمل عثراتهم ويدعو للعفو عنهم فقال صلى الله عليه وسلم : (أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ) وقال صلى الله عليه وسلم : (إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ، فَأَكْرِمُوهُ) ولما قدم عليه بثمامة بن أثال أسيراً قال : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي أحسنوا إيساره) وكان سيد أهل اليمامة . وكان يستعين بهم على القضاء على المنكرات فقال لجرير ألا تريحي من ذي الخَلْصَةِ ! وكان صلى الله عليه وسلم يزيد في أعطياتهم ويقدمهم على غيرهم فقد أعطى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل واحد منهم مئة من الإبل وقال : إنما أتألفهم .

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع العصاة)

- كان صلى الله عليه وسلم رحيماً رقيقاً بهم أتاه فتى يستأذنه في الزنا فقال له صلى الله عليه وسلم أذنه فلما دنا منه ذكره قائلاً : (أتجبه لأمك ، لبنتك ، لأختك ، لعمتك ، لخالتك) وهو يقول : لا والله جعلني الله فداءك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وكذلك الناس لا يجبونه لأمهاتهم ولا لبناتهم ولا لأخواتهم ولا لعماهم ولا لخالاتهم ثم دعا له : (اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه) ، وجاءه رجل فقال يارسول

الله إني عاجلت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت ما دون أن أمسها فلم
يرد عليه صلى الله عليه وسلم ولما أدبر بعث وراءه رجلاً يتلو عليه قول الله
تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ
السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا جاءه
العاصي طالباً للحد صرفه فإذا وجد منه الإصرار أقام عليه كما في قصة
ماعز ، ولما أقيم عليه الحد وفرّ من مس الحجارة قال صلى الله عليه وسلم :
(هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَتُوبَ، فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ) ، وكان صلى الله عليه وسلم
لا يستفسر عن الذنب وحين جاءه رجل وهو في المسجد يارسول الله
أصبت حداً فأقمه عليّ سكت عنه صلى الله عليه وسلم ولم يسأله عنه ثم
أعاد عليه وسكت عنه ثم أقيمت الصلاة فلما قضيت الصلاة خرج صلى
الله عليه وسلم فلاحقه الرجل وأعاد عليه فقال له صلى الله عليه وسلم :
(أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء فقال :
بلى ، قال : (ثم شهدت الصلاة معنا) ؟ قال : نعم يارسول الله فقال صلى
الله عليه وسلم : (فإن الله قد غفر لك ذنبك) ونهى صلى الله عليه وسلم
عن سب العصاة وحين جلد السكران فقال رجل : ماله أخزاه الله ! قال
صلى الله عليه وسلم : (لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم ، ولكن قولوا
: اللهم اغفر له ، اللهم أرحمه) وحين لعن آخر في الشراب قال صلى الله
عليه وسلم : (لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله) .

● وقد يشدد صلى الله عليه وسلم على صاحب المعصية لمصلحة تقتضي ذلك قال لأسامة حين قتل الرجل بعدما قال لا إله إلا الله ردد عليه : (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا أتتكَ يوم القيامة) ؟ قال أسامة : كان متعوذاً ، قال : (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟!) (وربما هجر بعض العصاة كما في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك . وإذا بلغه الحد لم يسقطه عن العصاة حتى لو شفع فيهم من شفع وفي قصة شفاعة أسامة قال صلى الله عليه وسلم : (أتشفع في حد من حدود الله) ! وإذا وقع أحد في خطأ رفق به وعلمه وأرشده كما في قصة معاوية بن الحكم السلمي حين عطس أحد الصحابة في الصلاة فشمته وهو يصلي قال صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة : (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس) وربما أزال المنكر صلى الله عليه وسلم بيده كما في قصة من لبس خاتماً من ذهب فنزعه من يده وقال : (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده) وكان كثيراً ما يقول : (ما بال أقوام) ! وربما عاقب صلى الله عليه وسلم بعض العصاة بعدم الصلاة عليه كما في قصة من قتل نفسه . والكبار يحسنون التعامل مع الأحداث ويفرقون بين الأخطاء ، والأشخاص ، ويطبقون حكم المنكر وما يترتب عليه ثم يضعون كل شيء في مكانه دون تعارض أو تداخل .

(تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المنافقين)

- كان صلى الله عليه وسلم يجري على المنافقين أحكام الإسلام في الظاهر ، ويقبل اعتذاراتهم ويكلهم إلى سرائرهم ، ولم يُيق لهم صلى الله عليه وسلم معلماً ينضون تحته كما في قصة هدم مسجد الضرار ، وكان صلى الله عليه وسلم يصبر على ما يصيبه منهم من أذى كما في قول القائل يوم حنين والله إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله ! فقال صلى الله عليه وسلم : (يرحم الله موسى فقد أوزي بأكثر من هذا فصبر) وكان هديه صلى الله عليه وسلم في المنافقين كشف صفاتهم وأعمالهم دون ذكر أعيانهم كما قال صلى الله عليه وسلم : (ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء) وقال صلى الله عليه وسلم في المؤخرين الصلاة : (تلك صلاة المنافق) وقال صلى الله عليه وسلم : (آية المنافق ثلاث) وقال صلى الله عليه وسلم : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً) وقال صلى الله عليه وسلم : (حصلتان لا تجتمعان في منافق : حسن سمت ولا فقه في دين) وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن إكرامهم قال صلى الله عليه وسلم : (لا تقولوا للمنافق سيّد ، فإن يك سيّداً فقد أسخطتم ربكم) ولم يكن يسند إلى أحد منهم شيئاً من الولاية . والخونة لا يمكنون من مسؤولية ، وهم أشد على دين الله تعالى وأعدى له من كثيرين ! وإذا رأيت تفرقاً وسمعت بخلاف فهم نواته ، ورأس المذمة فيه ، ولم يخل منهم زمان لاكثرهم الله . وإذا تأملت زمانك عرفتهم لا تشك في واحد معرفتهم ، والله المستعان !

(تعامله صلى الله عليه وسلم مع كبار السن)

- كان صلى الله عليه وسلم يوصي بإجلال هؤلاء ويجعل ذلك من دين الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : (إن من إجلال الله إكرام ذي الشبيبة المسلم) وتبرأ صلى الله عليه وسلم ممن لم يعتني بهم فقال : (ليس منّا من لم يُوقِّرَ كبيرنا) ولما دخل مكة فاتحاً ودخل المسجد الحرام أتاه أبو بكر الصديق بأبيه أبي قحافة يعودده فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ) وكان ينهى صلى الله عليه وسلم عن قتلهم في المعارك وإذا بعث سرية قال : (لا تقتلوا شيخاً كبيراً) وكان صلى الله عليه وسلم يقدمهم في أمور كثيرة ويقول للقائل إذا أراد أن يتحدث وفي المجلس من هو أكبر منه : (كبر كبر) وأمر بسلام الصغير على الكبير . وكل ذلك من رائق الأخلاق التي كان يتحلى بها صلى الله عليه وسلم وهو جزء من جمال هذه الشريعة التي تجل سابق العهد بالإسلام !

(قصة البعثة)

- نزل الوحي على نبينا صلى الله عليه وسلم في الغار وعمره آنذاك أربعون عاماً ، وقد تهيأ صلى الله عليه وسلم لهذا النزول بالرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وكان يقول : إني لأعرف حجراً بمكة يسلّم عليّ قبل أن أبعث ، وحبّب إليه العزلة في غار حراء فيمكث الليالي ذوات العدد متعبداً لربه تبارك وتعالى . والخيرات عادة لا تهتف بأصحابها حتى يخطوا إليها من أوسع الأبواب . كل نعمة لها دليل

، والعطايا لا تنزل باردة بمجرد سؤال ، ولكل شيء سبب ، ومن عرف الطريق استقبلته النعم قبل الوصول .وحاجة الإنسان إلى ربه أعظم من كل حاجة ، ومن أراد ذات المعنى فلتجر هذه المعاني في حياته حتى يأتي منها على أمانيه !

● نزل جبريل عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده (وفي رواية: ترجف بواده)

● المشاريع الكبرى تحمل في طياتها الكثير من متاعب الحياة ، وهي في النهاية لا تنقل أصحابها إلى غاياتهم العظمى حتى يهبوا لها من حياتهم كل شيء. والنفوس الطامحة عليها أن تستقبل مشاريعها بهذه المهموم الكبرى ! كم مشروع استقبله صاحبه بارداً فلم تكن له تلك النهايات التي يتشوّف إليها! .

● دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: (مالي؟)، وأخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي، فقالت له خديجة: كلاً أبشر، فوالله ما يُجزيك الله

أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ
المعدومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. وهذه شهادة زوجة ،
والكبار لا يحدثون أثراً كبيراً في مشاريعهم وواقعهم حتى يكتبوا أضعافه في
بيوتهم .

● ممتع هذا المعنى الذي تشهد به خديجة لزوجها ورسول العالمين صلى الله عليه
وسلم : (فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتكسب
المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) والكبار رؤوس في
المللمات! وعلى كل صاحب مشروع في الأرض أن يعيد قراءة هذا النص
الكبير ويقارنه بواقعه في رحاب بيته أولاً ، وبين وأهله وأرحامه وجيرانه ثانياً
وفي ظلال المجتمع الكبير الذي يعيشه فيه ثالثاً ورابعاً وعاشراً . وإذا أردنا أن
نكتب حظاً من أثر فعلينا أن نتمثل هذا النص بذاته في الواقع الذي نعيش
فيه وستأتي وارفات الأيام في حياتنا من جديد .

● الكلمة التي يؤدي بها الإنسان رسالة سواء الوالد في الأسرة أو المعلم في
المدرسة أو مدير الدائرة ، أو الداعية في دعوته ، أو العالم في مشروعه
العلمي ما لم يسبقها التطبيق العملي لن تجد لها هتافاً في آذان الآخرين .
وستظل حرفاً مفصلاً عن معناه وكلمة تتصارع مع واقع صاحبها قبل أن
تجد وهجاً عاطراً في أنفاس الآخرين وحياتهم .

● انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى بن
قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأً قد تنصّر في الجاهلية،
وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية . وفي رواية:

الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية) ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مُخْرِجِيْ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيْ ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُّؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةٌ أَنْ تُوْفِّيَّ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ».

- كم من امرأة صالحة صنعت فرقا في حياة زوجها ! ودور الزوجة الصالحة أكبر من أن يأتي عليه حرف في هذه المساحة . تحمل خديجة رضي الله تعالى عنها هموم زوجها ومشروعه الكبير وتخرج به تبحث له عن حلول ! واشوقاه إلى أمثال هذه الذكريات .

- (ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مُخْرِجِيْ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيْ (وفي رواية: أُوْدِيْ) . هذه هي الرسالة التي تلقاها صلى الله عليه وسلم من ورقة ! وهي الرسالة التي ستظل تصحب كل داعية حتى تقوم الساعة !

- إذا لم تتمكن من نصر هذه الدعوة ، والمشاركة في مد آثارها في واقعك فلا تحرم نفسك نية ذلك الكبير : (وإن يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُّؤَزَّرًا) .

- بدأت رحلة المشروع (بالدعوة السرية) بدأ في ربوع مكة وتتابع نتائجه من خلال إسلام خديجة وعلي بن أبي طالب وأبي بكر وآخرين . وكل عمل

لا يقوم على خطة لا يصل في النهاية إلى غاية ، والأحلام الكبرى لا تأتي من خلال عمل عشوائي ، ومن لم يستوثق من هذه المعاني رمته الأحداث على عارضة الطريق يوماً ما .

● ليست الدعوة السرية أصلاً في مشروع الدعوة ، وإنما فرضتها الحاجة في زمن النبوة ، وهي فترة قصيرة جداً بالنسبة لما تلا المشروع بعد ذلك من أحداث وإذا كان العمل مشروعاً في أصله فلا حرج في اتخاذ الأسباب الكفيلة بنجاحه .

● حين تكونت القاعدة الصلبة التي تجري عليها أحداث المشروع الدعوي في الأرض انطلقت الدعوة الجهرية في مكة وبدأت رحلة المشروع في البداية بالأقربين : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ثم توسّع في أوساط الناس بعد ذلك دون تفريق وكانت استجابة لدعوة الله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وإدارة الأولويات من أعظم أسباب النجاح في المشاريع ! وإذا عرف الإنسان من أين يبدأ ! وكيف يبدأ ! وصل قبل غيره .

● انطلقت الدعوة الجهرية في مكة ووقف صلى الله عليه وسلم أول مرة على الصفا وصاح في القوم : (يا صباحاه) ، فاجتمعت قريش وقال صلى الله عليه وسلم : يا بني فلان ، يا بني عبد مناف . يا بني عبد المطلب ، رأيتمكم لو أخبرتمكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما

جرينا عليك كذباً . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعنا؟! ثم قام فنزلت سورة المسد .

● الكبار والقادة وأصحاب المشاريع مسؤولون عن مواجهة الواقع وتحدياته من أجل الأفكار التي يحملونها والمعاني التي يسعون لتوسع آثارها في حياة الناس، ورايات المشاريع تحتاج إلى من يهتف بها في واقع الناس ويستقبل من أجلها كل ما يمكن . وكل من يتخلى عن حمل رايات المشاريع فحقه أن يأتي تبعاً في صفوف الجماهير يوماً ما .

● هذا الدين لا يمكن أن يستوطن الأرض حتى يجد حمالاً له يدفعون في سبيله بكل ما يملكون ! والأحداث شاهدة ، وما خلي زمان من صاحب راية! وكم من بقعة في الأرض شاهدة بآثار أصحابها ! ومن أدرك موقف نبيه في أول يوم من إشراق دين الله تعالى في أرض مكة اشتاق لإعادة التاريخ في واقعه من جديد.

● لا تستغرب حين يشرق الوجهاء بالدعوة ! ويركضون في وجهها عند أول وهلة ! ويمضون أعداء لها في الطريق دون هوادة ! تلك سنة الله تعالى في الأرض ! والذين يعيشون لذواتهم يخشون من كل طارق يذهب عليهم بمناصبهم وأمانيتهم ! وما بين أبي لهب والدعوة حتى يقف لها من أول الطريق ! ما صنعت له الدعوة حتى يشاقها من أول وهلة ! أما شهد هو وقومه حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم : (مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا) ! إنها

المناصب حين تسقي أصحابها الكبر حتى يشرقوا بكل مشروع إصلاح .
والله المستعان !

● القدوة القدوة يا أصحاب المشاريع ! وحديث الأعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أول لقاء : (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا) شاهد صدق لتلك القدوة في واقع الأحداث .

● انطلقت بعد ذلك الإعلان رحلة العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولصحبه الكرام في صور من السخرية ، والاستهزاء ، والازدراء ، والتعذيب ، كل ذلك محاولة لوقف وافد الأفكار الجديدة ، والتغيير لا يصنعه شيء كما تصنعه الأفكار !

● بدأت قصة التعذيب لصاحب المشروع الأول وحامل رايته في الواقع، مرة بوضع سلى الجزور على رقبتة وهو يصلي ، وأخرى بليّ ثوبه على عنقه وهو يصلي ، ثم سلكوا طريقاً آخر كما في طلب الآيات والمعجزات ، وأخيراً عادوا لطريق المفاوضات ، وفي النهاية جاء حامل فكرة الإصلاح ليقول لهم : أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم . قال : فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة .

● فرق كبير بين فكرة عارضة تقبل نقاشاً ويؤخذ منها بعض ويترك منها بعض آخر حتى تستوطن ولو بعد حين ، وبين معتقد ودين هو الحق وما عداه باطل لا قيمة له .

- ما أثنى الثبات على المبادئ زمن الحاجة ! وما أعز القيم حين الظروف والعقائيل الشاقة ! فرق كبير يا حَمَل المشاريع بين من يحاول محالة اليأس أو يشارك مشاركة الضعيف ، ومن يدفع روحه ثمناً لأفكاره الحية في الواقع .
- حين قنع الأعداء من إيقاف صاحب المشروع عن فكرته عادوا يحاولون الوقوف دون امتداد الفكرة بين الناس ، وكل من اعتنق الفكرة أو أقبل على دار الأرقم أو رؤي في ساحة تلك الدعوة اقتيد متهماً باعتناق الأفكار الجديدة ، فكان آل ياسر ، وخبّاب ، وبلال وآخرون كثر هم بداية تلك المحاولات لإيقاف مد تلك الأفكار .
- لم يتخلّف أحد من هؤلاء عن الطريق رغم كل ما وجدوه من لأواء ، وتحول ذلك العذاب بكل صورته وأشكاله إلى سقاء يمد نماء تلك الأفكار في قلوب أصحابها وواقعهم . والإيمان بالأفكار يصنع هذه الصور ويأتي بمثل هذه الأحداث .
- لم يكن لدى صاحب المشروع وحامل الراية أي وعد عاجل لهؤلاء في الدنيا، وإنما كان مرة يذكر بتكاليف الطريق : (قد كانَ مَنْ قبلكم يُؤخِّدُ الرجلُ فيحفر له في الأرض، ثم يُؤتى بالمنشار، فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين، ما يصرِّفه ذلك عن دينه، ويمشطُ بأمشاطِ الحديدِ، ما دون عظمه من لحم وعصبٍ، ما يصرِّفه ذلك عن دينه) ، ويذكر ثانية بالنهايات : (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) ويذكر ثلاثة بلحظات النصر في قادم الأيام : (وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صُنْعَاءِ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) .

- ليس في دين الله تعالى وعد عاجل لأصحابه إلا ما يلقاه من أشواق قلبه: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) وطمأنينة روحه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ، وما عدا ذلك أحلام لا يحول دونها سوى الموت !
- التغيير صناعة وعلى حمّال أفكاره أن يستقبلوا كل شيء قبل إحلاله في واقع الناس. والناس أعداء ما جهلوا ، والجديد لا يمكن أن تبسط له فرش الإكرام من أول وهلة . وإذا أردت أن تعرف حقيقة ذلك فاقراً قصص التعذيب التي تلقاها صلى الله عليه وسلم وهو يحاول جاهداً في بسط التغيير وفرض الأفكار الجديدة تلك الحقبة من الزمن .
- القادة تثقلهم هموم الأتباع ، ويشغلهم واقع المشروع ، ويستفرغون جزءاً عريضاً من همومهم لحل الظروف والعقائيل العارضة ، ولئن استطاعت فئات على الصبر وتحمل المشاق فإن فئاتاً أخرى من أصحاب الرسالة والدين لا تستوعب مثل هذه الظروف ، فتحتاج إلى حلول أخرى تستعين بها على بقاء إيمانها ، فجاءت فكرة الهجرة إلى الحبشة مرتين الأولى في السنة الخامسة من البعثة في عدد يصل إلى خمسة عشر ما بين رجل وامرأة ، ثم كانت الهجرة الثانية في حدود ثمانين رجلاً وثمانين امرأة ، وحاولت قريش غلق هذا الطريق من بدايته ، وحصر المؤمنين في أرض مكة وإحكام القبضة على النافرين من الأجداد فأرسلوا تبع هؤلاء عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة يحملان جملة من الهدايا للنجاشي إغراء بالفكرة غير أن النجاشي

لم يستجب لهم وعادوا خائبين من ذات الطريق . ولن يقف الأعداء مكتوفي الأيدي أمام توسّع الحق ونماء مظاهره إلا حين لا يجدون وسيلة تسعفهم تلك اللحظات .

● حاول كفار قريش بعد اليأس من إغراء ملك الحبشة برد المهاجرين إلى اختلاق فكرة جديدة للتضييق ، فجاءت فكرة الحصار وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاغتاز بنو عبد المطلب ودخلوا شعبهم حماية للنبي صلى الله عليه وسلم وأجمع المشركون على ألا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يبائعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقي هذا الحصار ثلاث سنوات ، ثم تلاوم رجال من قريش على ما حدث ، ثم نقضوا الصحيفة وانفك الحصار .

● لن يقف الباطل أعزل أمام الحق وهو يراه يتمدد في حياة الناس ويأخذ حيزاً من واقعهم ، ولا تظن أن كل الناس ستتهج بالحق الذي تراه ، ولو كان ذلك ممكناً لكانت أيام الرسل أولى لذلك وهيئات .

● تؤدي القبيلة دوراً كبيراً لحظة الأحداث ! وكم من كبير بأهله وقومه ومجتمعه! والعامل من أولى هذه المساحة جهده وبني من هؤلاء عزاً وجاهاً لقادم الأيام . وقد قال القوم في أزمان المعارضة : (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) .

● فك الحصار وانفرج موقف الكرب من جهة ، وجاء قدر الله تعالى بفواجع الأخبار على صاحب المشروع ! ودّع أبو طالب أعظم نصير لنبي الله تعالى الدنيا في آخر السنة العاشرة من البعثة ، ورحلت في ذات العام رفيقة الدرب

أيام العُسر والشدة خديجة رضي الله تعالى عنها وبقي إصرار الإنسان على بقاء مشروعه وهمته في تحقيق أهدافه ولو كان وحيداً في الأرض غريباً في الناس .

● قد يجد الإنسان من يأخذ بيده ، ويعينه على بلوغ أهدافه ، وكم من كبير ذاع صيته بمثل هذه المعاني ! وإذا تيسر لإنسان مثل ذلك كان من توفيق الله تعالى الذي يستحق إدمان شكر . لكن ليس بالضرورة أن يلقي الإنسان كل هذا ، وكم من إنسان صعد المعالي دون أن يلقي معيناً يأخذ بيده ! والطامحون لا يجدهم شيء ، وكم من عقبات تقاصرت أمام أصحاب الإرادات !

● يم النبي صلى الله عليه وسلم بعد رحيل النصارى إلى الطائف باحثاً عن بيئة أخصب للدعوة ، وليس بالضرورة أن ينجح مشروع الإنسان في بيئة أو مجتمع بعينه . وإذا استوفى الإنسان أسباب النجاح ولم يجد قبولاً استقبل بمشروعه أرضاً جديدة وأقواماً آخرين لعل منها يكون بعث الأحداث ، ولا يستعجل صاحب المشروع ، وكم من متندّم بعد الفراق ! وكم من أثر لا يرى إلا بعد الفوات ، و من لزم طريقاً وأدمن السير في ثناياه عانق نهايات الطريق ولو بعد حين . والتجارب شواهد حال .

● لم يجد النبي صلى الله عليه وسلم استقبلاً من أهل ثقيف ، فالحق الجديد يحتاج إلى زمن طويل حتى يكوّن القناعات ، فعاد صلى الله عليه وسلم والههم يملاً قلبه ، يبين عن ذلك هذا السؤال العريض من عائشة رضي الله تعالى عنها أنّها قالت للنبيّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من

يوم أُحُدٍ؟ قَالَ: لقد لَقِيتُ من قومِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أشدُّ ما لَقِيتُ منهم يومَ العقبَةِ؛ إذ عَرَضْتُ نفسي على ابنِ عبدِ يالِيلِ بنِ عبدِ كُلالٍ؛ فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ، فانطَلَقْتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بقرنِ الثَّعَالِبِ - قرنِ المنازلِ مِيقَاتِ أهلِ نجدٍ - فرفَعْتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظَلَّتْني، فنظرتُ، فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إِنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِكَ لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شئتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجبالِ، فسَلَّمَ عليَّ، ثم قالَ: يا مُحَمَّدُ! إنَّ شئتَ أنْ أُطِيقَ عليهم الأَخْشَبِينَ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم: (بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ مِن أَصْلَابِهِم مَن يَعْبُدُ اللهُ وحدهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً) .

● ما أطول نفس صاحب المشروع ! يخرج من مكة طريداً ، وييمم وجهه للطائف ولا يجد مستقبلاً ، ويعود ليلقى في الطريق من لأواء المعارضين، وحين تلوح فرصة النهاية المبررة على الأقل أمام الجماهير والعامّة يأبى صلى الله عليه وسلم ذلك النصر المؤقت ويرفض الفكرة المعروضة ، وينتظر أمل النصر الحقيقي ولو بعد حين : (بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ مِن أَصْلَابِهِم مَن يَعْبُدُ اللهُ وحدهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً) .

● الرؤية تصنع الفرق ! واستشرف المستقبل العريض أعظم مواصفات أصحاب المشاريع ! والكبار لا يقفون أمام الأحداث العارضة ، ولا يضعفون أمام عقابيل الطريق ، وتظل الرؤية تلوح في أذهانهم ويتشوقون للحظات النهاية ، ويستشرفون مستقبل الأيام مهما كانت بعيدة .

● حين يطول زمن الانتظار فليس ذلك دليلاً على إخفاق ! بل فرصة لاستفزاز قدراتنا على اختراع حلول أكثر فاعلية في التأثير على المستهدفين

من المشروع . وكم من فسيل يطول زمن انتظار ثمرته فإذا جاء عاش مثمراً
طوال العام ! والأحلام تثمر على قدر ما تحمل من مشاق .

● عاد صلى الله عليه وسلم من جديد إلى أرض مكة ، الأرض التي خرج منها
أول وهلة . عاد صلى الله عليه وسلم إلى ذات الأرض وذات المكان الشاهد
في كل شبر منه بأحداث العدا من كبار قريش ، وما عساه أن يفعل فيها
من جديد !

● وقف زعماء قريش وكبار الضلالة يدفعونه صلى الله عليه وسلم عن الدخول
ويحولون بينه وبين المكان الذي يريد أن يصنع فيه أحلام مشروعه الكبير .
ووقف المطعم بن عدي رافضاً فكرة قريش ومجيراً للنبي صلى الله عليه وسلم
وخرج هو وأبناؤه متقلدي السيوف فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت
وصلى وأعلن الجوار رغم رفض صناديد قريش لكل صور الاستقبال.
والشجاعة تصنع مجداً تليداً لأهلها ، وإذا ما رأيت مثل هذه الصورة أدركت
كيف يصنع الإنسان لنفسه موقعاً في زمن الزحام .

● عاد صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعد رحلة الطائف ولقاء ابن عبد ياليل
بن عبد كلال ومشاهد الرفض في الدخول وكان أحوج ما يكون إلى بلسم
يداوي هذه الجراح ويعيد الفأل من جديد . وما أعظم لطف الله تعالى
بعباده ! فُرج سقف بيته صلى الله عليه وسلم بمكة فنزل جبريل ففرج صدره
ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب مملوءاً حكمة وإيماناً فأفرغه
في صدره ثم أطبقه ، ثم أسري به إلى بيت المقدس على البراق وصلى هناك
بالأنبياء ثم عُرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلاة ، كل هذه في ليلة
واحدة.

- لا تنتظر ثواباً عاجلاً ، ومكافأة ثمينة في بداية الطريق ! إن العطايا لا تنزل إلا حين يدفع الإنسان لمشروعه كل شيء ، ويبدل في سبيله أعلى ما يكون! وحين لا يبقى إلا العون والتوفيق يأتي في ساعته لا يتخلف عن موعد ولا يتأخر عن مكان .
- إذا أمضك المشروع فافرش سجادتك واستقبل في هدأة الليل قبلتك ورتل أي كتاب ربك ، وإذا سجدت فأنخ مطاياك في رحاب ملكوت الله تعالى وقد بلغك أن أقرب ما يكون الإنسان إلى ربه وهو ساجد ، وإذا رافق ذلك خشوع ورغبة والحاج فلا تسل لحظتها عن موارد الخيرات .
- الأوراد يا أصحاب المشاريع ! وحسن الصلة بالله تعالى ، والخبايا الصالحة مؤذنة بإذن الله تعالى بسيل هادر من موارد التوفيق . وما استعان صاحب مشروع بمثل هذا الطريق .
- عاد صلى الله عليه وسلم بعد رحلة الإسراء والمعراج إلى مشروع الدعوة ، عاد يجوب الأرض ، ويدعو الناس : (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، وكان يردد في كل لقاء : (من يؤويني ؟ من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ؟) وما رأيت صاحب أحلام قاعد على أريكته يوماً ما! وصنّاع الحياة يرفضون القعود ، ويتحدون العقابيل ، ويعيدون وهج الحياة في الواقع من جديد .
- جرت من خلال أحداث الدعوة التي أعاد النبي صلى الله عليه وسلم وهجها في أرض مكة بيعة العقبة الأولى بحضور اثني عشر رجلاً من الأنصار ، وكان نص البيعة : (أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِي ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ) وعاد أصحاب هذه البيعة إلى المدينة وبعث فيهم صلى الله عليه وسلم مصعب

- بن عمير يعلمهم الإسلام ، وبدأ الإسلام يأخذ حظه في المدينة ، ثم قدم وفد آخر من الأنصار وتمت بيعة العقبة الثانية وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ) .
- لا يمكن لمشروع أن يبسط واقعه في مكان وهو لم يأخذ بأسباب التمكين ! وأحداث البيعة دليل متين على قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم لواقعه واستشرافه لمستقبل مشروعه ، والاستفادة قدر الوسع من الإمكانيات والطاقات المتاحة بين يديه في تلك الحقبة من الزمن .
 - الجهد المبذول شيء ، والتخطيط شيء آخر ، وإذا لم يكن الثاني وعاء حاضناً للأول وإلا ضاع كل شيء .
 - تم من خلال هذا الجهد والعمل بناء اللبنة القادرة على دفع المشروع إلى آماله الكبار في قادم الأيام ، وهذا القدر الذي تم إنجازه في المشروع هو الممكن في ظل تلك الظروف ، والمشروع بحاجة إلى توسع ولا بد له من أرض أخرى يستكمل فيها رحلة البناء . ولهذا كله جاءت الهجرة إلى المدينة .
 - بدأ الإذن للهجرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته صلى الله عليه وسلم ، وبدأت وفود الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في الرحيل ، ولما وصلت تلك الأفواج إلى هناك واستقرت قرر النبي صلى الله عليه وسلم للحاق بالقوم غير أن الأمر خطير ولا بد من أخذ الأسباب المؤذنة بالنجاح .

(الهجرة إلى المدينة)

- خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر في نحر الظهرية في ساعة لم يكن يأتي فيها صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، وقال لأبي بكر أخرج من

عندك ، وأخبره أنه أذن له في الخروج . والتخطيط أصل كل نجاح ، والأعمال العشوائية تموت من أولى المحاولات .

• ما أحوج المصلحين وأصحاب المشاريع إلى أعوان الطريق ! من الضرورة أن يكون لك سحب في الرأي حتى ينضج مشروعك ، وكم من رأي فردي كان سبباً في إجهاض مشروع صاحبه قبل أوان النضوج !

• قال صلى الله عليه وسلم لصاحبه تلك اللحظة : (أخرج من عندك) فالقضية كبرى ، والتفريط في أي جزء منها مؤذن بالخسارة ، ويأتي الجواب بلسماً (إنما هم أهلك يارسول الله) يحملون ذات الهموم التي تحملها ويجدون ذات المشاعر التي تشعر بها تجاه هذا الدين العظيم .

• قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : فخذ بأبي أنت يارسول الله إحدى راحتي هاتين فقال صلى الله عليه وسلم : (بالثمن) ! رغم الحاجة والظروف والعقاييل العارضة وكل ذلك ليس لشخصه وإنما لدين ربه تعالى كان حريصاً على رد الجميل : (بالثمن) وكذلك الكبار حين يحتاجون إخوانهم في موقف يكون شعارهم : (بالثمن) !!

• بدأت الرحلة في غار بجبل ثور ومكثا فيه ثلاثة أيام وعبد الله بن أبي بكر بييت عندهما ويصبح في قريش وينقل من خلال ما يرى وما يسمع أحداث القوم إليهم ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى حولهما الغنم ويهب لهما من لبنها زاداً للطريق ، واستأجر صلى الله عليه وسلم خريئاً يدهما على الطريق في صحبة أبي بكر وعامر بن فهيرة ، وانطلقت المسيرة في أجواء مشحونة بالترقب والخوف والقلق . والأسباب جزء من التوكل ، وليس بين الأمرين عراك إلا عند الجهلاء .

• قَلِقَ المشركون على خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعوا بكل ما يملكون للحاقه والوقوف أمام أحلامه وتمكنوا من إدراك أثره ووصلوا لذات الغار ووقفوا عليه حتى قال أبو بكر : يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لرآنا ! فقال صلى الله عليه وسلم اسكت يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما !

• ما أحوج أصحاب المشاريع إلى هذا المعنى الكبير في النفوس ! إن النهايات التي نتشوّف إليها لا تصنعها جهود الإنسان ولا أفكاره وإنما تصنعها العقيدة المتينة في القلوب ! الثقة بالله تعالى وبنصره ووعدده ليست معاني تحفظ بل هي عقائد تملأ القلوب ، ثم لا تبالي بعد ذلك بما يصنع البشر ! حين نبذل كل ما يمكن في سبيل النجاح علينا أن نفرغ على قلوبنا من وهج العقيدة ما يسكنها زمن الفزع وقت الأحداث .

• يأتي الخذلان في كثير من الأحيان من جعل الأسباب هي الأصل والعقائد الكبرى فرع ، وكم من نهايات مؤلمة حملها هذا الواقع في الأحداث .

• الإصرار يصنع العجائب ! والتحديات على الخروج من النفق المظلم هي الفارق في حياة الناجحين .

• غير الممكن يصبح ممكناً مع الإرادة ! والرؤى البعيدة تصنع طموحات الكادحين !

• شعرت قريش بالقلق وخافت أن يفوتها صاحب المشروع فأعلنت عن مكافأة لمن يلحق به ويأتي به ولو مقتولاً ، وكذا الباطل يدفع كل ما يملك من أجل حصار الحق في مكان أو زمان ! قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) وكان سراقاة أول الفرحين بتلك المكافأة

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم مد بصره ، ودعا عليه صلى الله عليه وسلم حتى غارت قوائم فرسه في الأرض وفي النهاية توقّف عن المطاردة وتعهد بدوره في نصرة العقيدة من خلال التعمية على القادمين ورائه . وإذا أراد الله تعالى أمراً أمضاه رغم أنوف المعارضين .

• كم من وهم كان عارضاً عن بلوغ النهايات ! وسقطت أمام العزيمة الصادقة والرغبة الملحة كل الأقنعة الواهية .

• مر صلى الله عليه وسلم في الطريق على أم معبد وشرب عندها اللبن وأدرك القرشيون أم معبد وسألوها عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ضافني حالب الحائل . وهو ذاته صانع التاريخ ، وكاتب الأحداث !

• وصل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واستقبله الأنصار ينادون يا محمد ، يا رسول الله ، يا محمد يا رسول الله ، وأشرف بعضهم يقول : جاء نبي الله جاء نبي الله . وكان قدومه يوم الاثنين من شهر ربيع الأول آخر النهار من ذلك اليوم ، ونزل في بني عمرو بن عوف وبقي أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء .

• ثم عزم على دخول المدينة ، وأرسل إلى زعماء بني النجار ، فجاءوا متقلدين سيوفهم في عدد يصل إلى خمسمئة رجل ، وأقبل يسير حتى نزل في دار أبي أيوب الأنصاري . ثم أمر صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد . والمسجد مدرسة العقيدة الكبرى ، وملقى الكبار ، ومنطلق المشاريع العظيمة في التاريخ . وكمن صنع هذا المسجد الذي بني من سعف النخيل من تاريخ في حياة أصحابه ! وليس حاجتنا اليوم إلى رخام يورق جنبات ذلك البناء بقدر حاجتنا إلى إمام يصنع أحلام المترددين إليه ، ويبيّن منهم طاقات فاعلة في واقع الأمم والمجتمعات .

- القضية أكبر من درس إمامة في وقتها ، أو درس يأخذ بضع دقائق على أسماع الحاضرين بل قدوة تتمثل ذلك المعنى التي رددته خديجة حين جاءها الكبير يخشى الموت : (كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) ثم تبدأ مسيرة البناء العقدي والإيماني حتى تعود هذه المساجد إلى زمن تلك الحقبة المثيرة في زمن الرسالة .
- وانتهت قصة الرحلة ، وعاد الباطل رغم كثرته هباءً لا أثر له ، وخرجت العقيدة المثينة تجوب الأرض لا تلتفت إلى الرعاع ، وسارت وهي تعرف وجهتها وتدرك خطوها وتحسب آثارها ، وفي النهاية عانقت أول أحلامها في أجواء من الاستقبال التي كانت الدعوة أحوج ما تكون إليها . والله المستعان!

(في ربوع المدينة)

- بدأت قصة هذه المرحلة الجديدة ببناء المسجد ، وهو نواة التغيير الأولى في أي مجتمع ! وما الأمة اليوم أحوج إلى شيء حاجتها إلى إعادة وهج هذا المعنى في نفوس أصحاب المشاريع ! إن مكاناً يستقبل الناس كل يوم خمس مرات هو حقيق بالإجلال والعناية والاهتمام ! وإذا أرادت الأمة اليوم أن ترتب صفوفها وتعيد بناءها فعليها بإدراك دور المسجد والعمل على إعادة واقعه الأول من جديد .
- آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في نظام يكفل كل أوجه المواسة للدرجة التي يتوارث فيها المتآخون فيما بينهم ، وبقي هذا التوارث حتى ألف المهاجرون أجواء المدينة وعرفوا مسالك الرزق وأصابوا من غنائم بدر ثم توقّف بعد ذلك . ومن تأمل واقع المسلمين اليوم في المجتمع

الواحد فضلاً عن أقطار العالم الإسلامي أدرك كم هي الحاجة إلى هذا المعنى الكبير !

● ما أحوج قُرَاء هذه السيرة العطرة إلى إدراك معنى هذا الدين ، وأن كل واحد منا مسؤول عن البناء ، وحاجتنا اليوم إلى الوحدة والاجتماع بعد معاني الإيمان أعظم من كل حاجة .

● يجب أن تأخذ مفاهيم الوحدة والاتلاف والاجتماع جزءاً كبيراً من هموم أصحاب المشاريع في الواقع تجديداً للصورة التي بدأها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ووصولاً للغاية الكبرى في كتابه تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) .

● كانت القبلة بيت المقدس طيلة الفترة بمكة ثم استمرت في المدينة ستة عشر شهراً ثم تحوّلت بعد ذلك إلى مكة لقول الله تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) .

● ثم أذن له صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، أذن له أولاً في قتال من قاتله ثم أمر بقتال المشركين كافة حتى يكون الدين كله لله . وفي مراحل الدعوة التي مرت ومراحل الجهاد التي أقرت دروس من سعة الإسلام ورحمته بالمخالفين وعنايته بإدارة الأولويات .

(الغزوات)

● أهداف الجهاد أهداف سامية عظيمة ، يأتي على رأس تلك الأهداف إعلاء كلمة الله تعالى ، وإقامة الحق والعدل ، وجعل الحاكمية في الأرض لله تعالى ، ولهذا تراه عند ذكره مقروناً بسبيل الله تعالى تفريقاً بينه وبين قتال الثارات والأطماع الدنيوية . ومن تلك الأهداف إسعاد البشرية وهدايتها

لدين الله تعالى ، ونشر الأمن والرخاء والطمأنينة في أرجاء الأرض . ومن تلك الأهداف : إزاحة العقبات العارضة في الطريق عن توسع هذا الدين وأخذ حظه من الواقع . ولم يكن من أهداف الجهاد يوماً إراقة الدماء وقتل الأبرياء وإضاعة الأمن . ومن قرأ آداب الجهاد التي كان يؤكد عليها النبي صلى الله عليه وسلم في كل غزوة : (اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا أنت لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خلال أو خصال، فأيتهن ما أجابوك إليها، فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم) أدرك أهداف الإسلام من هذه الشعيرة الكبرى في الإسلام . وثمة قيم ومثل ومعاني كانت تملأ تلك الغزوات التي تنطلق لتحرير هذه المفاهيم في الواقع ، لو قرئت قراءة متأنية من عدو لكانت مراسم هداية يدخل من خلالها الإسلام ويأتي إليه طواعية.

(غزوة بدر الكبرى)

- بدأت قصة الجهاد بغزوة بدر الكبرى ، وكانت هذه الغزوة في السنة الثانية من الهجرة وأصل الخروج كان في تتبع قافلة كان على رأسها أبو سفيان وبلغ قريشاً خروج المسلمين فعزمت على الخروج ، وحشدت له كل ما تملك ، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك استشار الصحابة في خوض غمار هذه المعركة فأبدوا استعداداً كبيراً حتى قال صلى الله عليه وسلم : (سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم)

- الشورى منهج ويجب أن تأخذ حظها من كل قرار يقوم به الإنسان في حياته، سواء على مستواه الشخصي أو على مستوى أسرته ، أو على

مستوى دائرته التي يعمل بها ، كل هؤلاء بحاجة إلى الشورى حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية .

● من أخطر ما يواجه الإنسان في حياته القرارات الفردية ، ويظن هؤلاء أنهم يدركون حيثيات القرار ، وأبعاده ويتفاجؤون في النهاية أنه فاتهم بفوات الشورى شيء كبير . وكم من قرار لم تخلطه الشورى ذهب بموارد كبيرة من حياة الإنسان !

● يملك الكبار طرقاً مبدعة لحفز العاملين معهم . خرج الصحابة لغير المعركة وكان الواقع كما حكاه الله تعالى : (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) وكان يردد صلى الله عليه وسلم : (سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم) وأصحاب المشاريع في أي موقع يملكون رؤية استشرافية خلاقة في تحقيق آمال من معهم في قادم الأيام . ويعرفون كيف يخلقون أملاً في مضائق الأحداث ، ويجولون الأزمت إلى مصادر لاستلهاام القوى .

● الفأل والأمل معاني يملكها الكبار : (سيروا وأبشروا) في أوقات الأزمت بالذات ، ويحدثون من خلالها الفرق الكبير في الأحداث ! وحاجة العاملين اليوم في المشاريع فضلاً عن الجماهير إلى أحاديث الفأل والأمل التي تملأ الواقع سروراً ، وتعين على تخطي العقبات .

● وصل المسلمون إلى بدر ليلة السابع عشر من رمضان وأخذوا مواقعهم وكل أخذ حظه من النوم إلا القائد صلى الله عليه وسلم استقبل القبلة ويمم وجهه إلى ربه تعالى ويدعو حتى أصبح ، وكان يردد بإلحاح : (اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْفِئَةَ لَا تُعْبَدُ) وفي صباح ذلك اليوم رتب صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وعاد يستقبل القبلة ويدعو : (اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَنْجِرْ مَا

وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا) وما استجلب التوفيق شيء ما استجلبه الدعاء ! ترى كم أخذ الدعاء من يوم النبي صلى الله عليه وسلم وليته ! وكم يأخذ منا في سؤال الله تعالى في الثبات على الحق وهداية الأبناء ونجاح أهدافنا ومشاريعنا في الحياة . وما أصدق حدس عمر رضي الله تعالى وأرضاه حين قال : (إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء) وكم من مشروع تعثر وفي إمكاننا أن ندفع به من خلال الدعاء إلى أرفع المقامات !

● بدأت المعركة ، والقادة يملكون إثارة المواقف في وقتها : (قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) ، وكلفة الجهاد وتبعاته تحتاج إلى حوافز تشرق بالقلوب إلى أبعد مدى !

● التقى الصفان ، وبدأت المعركة بين أنصار الحق وأنصار الباطل وجاءت هبات الدعاء والإلحاح في أحلك الأوقات حاجة : (إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) وما هي إلا لحظات وتنجلي الأرض عن مصرع سبعين وأسر سبعين آخرين من أنصار الباطل ويفر الباقون بأنفسهم فليس في الأرض سوى الدماء ! .

● كلّ يحسن الحديث وعند الأحداث يذهب كل شيء ! كم من حديث رائع قبيل الملاحم والأحداث ! وكم من راية ترفعها الأماني وقت الفراغ ، وحين تعصف عواصف الأحداث لا يبقى من ذلك شيء . وانتهت بدر بعز أصحاب المشروع المناضلين من أجل لا إله إلا الله ! وتبدلت أيام الحصار والهجرة والتعذيب إلى أيام نصر وعز وتمكين ! ومن صبر على مضض الأيام في بدايتها رشف العسل رحيقاً عند النهايات ! وهذا ليس في رحى معارك

السيوف بل حتى في رحى معارك المشاريع والأهداف والرؤى التي يحملها الأفراد والمجتمعات .

(غزوة أحد)

● غزوة أحد تلت بدرًا في العام الثالث من الهجرة، وشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه كعادته المطردة ، واختلف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في الخروج والبقاء ، ثم فصل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الخلاف ، فلبس أدوات الحرب ، وقال : (إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأُمَّتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ) والكبار يشرعون الشورى منهجاً ويملكون في ذات الوقت القرار النهائي عند الخلاف . ثمة كبار إذا بدؤوا الخطوات الأولى في مشروع لا يمكن أن يثنيهم عنها شيء ! ولا يصلح للقادة أن يكونوا إمعات في زمن الأحداث . وحين يختلف الناس يحتاجون إلى رجل يقول كلمة الفصل . كما أن الشورى منهج، فأخذ القرار وقت الحاجة سمة يتحلّى بها الكبار . وفرق كبير بين من يؤمن على رأي قومه ومن يشعل شعلة بيدد بها الظلام : (إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لَأُمَّتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ) .

● خرج الجيش متوجهاً إلى أحد في ألف مقاتل ، وانسحب في أثناء الطريق المنافق ابن أبيّ ولا تفرح بكثرة هؤلاء في صف ! والمحن تكشف سُرّ النفاق وتبقي المنافقين عراة ! ولا تنتظر من أيام الرخاء شيئاً ، وإذا أردت أن تميز صفك وتعرف عدوك فارقب مثل هذه الأزمات تأتيك بأخبار القوم .

- ما أكثرهم . لا أكثرهم الله تعالى . حولك في أيام الأمن والرخاء والطمأنينة وكل يرفع عقيرته بالنصر والنجدة فإذا ما كشفت المحن عن رأسها ولّوا كجرذان يبحثون عن ملاجئ الغارات .
- لا تبتئس بأيام الفتن والمشكلات فكم فيها من ضوء بدد حالك الظلام! عاد ابن أبيّ وصحبه لأن الطريق التي سلكوها لا تسلم أصحابها إلا في فم الأحداث ولو وجدوا ملجأً لولوا إليه وهم يجمعون .
- عسكر المسلمون قبيل أحد واستعرض صلى الله عليه وسلم صغار السن ممن هم في سن الرابعة عشرة وردهم من أثناء الطريق ، والأجواء التي يعيشها الإنسان تصنع فروقها في الواقع . ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى أن يفقه الشباب أهدافهم في الحياة ، ويتعرفوا على مشاريعهم ، ويشعروا أنهم الجزء الأكبر من جسد الأمة ، وعليهم تقع تبعات مستقبل الأيام . والأسر والمؤسسات التعليمية وغيرها مسؤولة عن إعادة وهج الحياة الكريمة إلى نفوس هؤلاء الشباب من جديد .
- من يعيد لنا صورة شاب يبحث عن فرص العمل في زمن الفوضى ! من من شبابنا اليوم يزاحم الكبار على مواقع التأثير ! من يعيد لنا هموم رايات المشاريع في أوساط الشباب !
- يا أيها الأجيال هذا هو زحام المكارم ! وهذه هي هموم فتیان المستقبل المنشود ! من يا ترى يهتف بالأمل من جديد ! من يحمل لأمتة رايات المكارم ويبعث في واقعها فال الأمل في زمن الركود ! ما أحوج الأمة اليوم إلى صاحب مشروع !
- وصل المسلمون إلى ميدان المعركة ورتّبهم صلى الله عليه وسلم ، وجعل ظهورهم إلى جبل أحد ، وأمر خمسين من الصحابة أن يقفوا على جبل

عينين المقابل لأحد وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم : (إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطُّفْنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ). وإذا أردت أن تقرأ في مواصفات الكبار فاقراً هذه الجملة التي قيلت قبل زمن المعركة ، وقبل وقوع الأحداث (إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطُّفْنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ) لتدرك أن صنّاع الرؤية هم القادرون على قراءة مستقبل الأحداث .

- الأحداث الكبرى قد تبدأ باردة ، والكبار يملكون فن إثارة البدايات ! أخذ صلى الله عليه وسلم سيفاً وقال : (من يأخذ مني هذا؟ فبسط الصحابة أيديهم كل يقول أنا يارسول الله ، ثم قال : من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم فقام أبو دجاجة وقال : أنا آخذه بحقه ! والقادة يملكون طاقات عالية جداً وقت الأزمات بالذات ، ويصنعون من واقع الخوف فآلاً مستطيلاً في عرض الأحداث . وما أوسع الفرق بين كبير يملك هذا الفن في بداية أزمة وآخر يعجز عن خلق فرصة في بداية مشروع !

- بدأت المعركة ، ودارت رحى الحرب وتحقق للمسلمين النصر غير أن هذا النصر هذه الوهلة على أشلاء ودماء الكبار ! فقد غادر الدنيا أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم حمزة ، وتبعه الداعية الأول بالمدينة مصعب وآخرون، وما أعظم مصيبة الأمم برحيل الشجعان ! وكم من مشروع مد جذوره في الأرض يمثل هؤلاء ! فإن كان في القلب بقايا من حياة فهذا أوان البكاء !

- رأى الرماة ما آلت إليه الأحداث ورغبت نفوسهم في الحظ العاجل قبل الزوال قائلين : الغنيمة الغنيمة ! وحاول ابن جبير رضي الله تعالى عنه

تذكيرهم بالوصية ، غير أن صورة النصر العاجلة في أعينهم أكبر من كل مقولة ، فتزكوا الجبل ونزلوا يستعجلون بوارق العاجلة ! وهذه ليست أول الصور في تاريخنا ولا آخرها ، وما زالت في مواقع ومواقف تبطّئ بنصرنا وتؤخّر مسيرتنا وتديل علينا التبعات ! وما نصنع بقدر الله تعالى : (مِنْكُمْ تِلْكَ الثَّغْرَةُ ، ويستثمر تلك النكسة لصالحه ، والكبار في كل مكان يدلون النصر لأنفسهم من ثقب إبرة ، ويكتبون حظهم من الأحداث بمثل هذه الفرص العارضة .

● التف خالد على المسلمين ، وبدأت جولة المعركة من جديد ، وفقد المسلمون مواقعهم وودعت جموع منهم الدنيا شهداء في أرض المعركة ، وحيل بين المسلمين وقائدهم حتى أشيع أنه قتل ، وحال بعضهم ما ذا بقي بعد رحيل الأنبياء من الأرض ! والمعارك مواقف والأخطاء الكبيرة ثمنها الدماء !

● كبير أثر المعصية على الإنسان ! وعثرات أصحابها في واقع الأحداث مرّة ! مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم في لحظة أحالت رحي المعركة وقلبت الأحداث وأسالت دماء ، ونكّست راية بعد علوها ، والله المستعان ! وكم من معصية اليوم حالت دون إنسان ومشروعه ، ووقفت حائلاً دون أهدافه ويتساءل عند الخذلان ما باله وعثرات الطريق ! ونسي أيام الخلوات .

● كان الأمس حافلاً بالنصر في بدر ، واليوم مشحون بأجواء الهزيمة والاختلاف وهذه سنن الله تعالى ! ولو كان الحق منصوراً في كل حين ما عُرف أنصاره وحمّال تبعاته وأحداثه . وما أكثر المنضوين في خيمة النصر وما أقل الثابتين زمن الرمضاء والهجير !

- يخطئ الكبار ، ويتوسّع خطوهم حتى يؤثر على شأن الأمة ، ذلك لأنهم بشر ، وقد تتكرر هذه الأخطاء ما داموا بشراً تجري عليهم سنن الله تعالى في الأرض : (كل ابن آدم خطاء) فلا تكثرت كثيراً بما رأيت وقد جرى لوح القدر بكل ذلك قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة .
- حين أخذت شائعة مقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقع أخذت حظها من نفوس الناس فتفرقوا وفروا ولسان حالهم وما نصنع بالحياة بعد رحيل الأنبياء ! وبقيت فحة ثابتة على المبادئ لم تؤثر فيها الإشاعة بشيء حتى كان قائلهم يردد : قوموا موتوا على ما مات عليه رسول الله . ومتى كان دين الله تعالى وقفاً على موت نبي أو عالم أو كبير في عالم الأرض !
- النكسات والمصائب تفتح أبواباً من المشكلات ، وتبين لحظتها عمق المعاني والقيم في أفراد المشروع . ولو بقيت عمرك كله في زمن الرخاء ما وصلت إلى شيء . فلا تقلق لحدث يتخلل واقعك أو أسرتك أو مشروعك فقد يعيد لك ترتيب اللبنة .
- انتهت أحد وهي جولة ضمن جولات ولم تنته بعد أحداث النزال ! والكبار يستفيدون من كل موقف عارض فكيف بالأحداث الكبار . ولولا التاريخ لما عرفنا الطريق .

(غزوة بني النضير)

- غزوة بني النضير كانت بعد أحد وسببها محاولة اليهود قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض العهد ، حاصرهم صلى الله عليه وسلم ست ليال ونزلوا على أن لهم ما حملت إبلهم من غير السلاح ويرحلون من تلك الديار . والعهود لها شأن في الإسلام ومن ينقضها عليه أن يستقبل ملمات الزمان .

(غزوة المريسيع)

● غزوة بني المصطلق (المريسيع) في شعبان سنة خمس للهجرة وسببها أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين وانتهوا إلى المريسيع وهناك التقى الصفان وانهمز المشركون وانتهت المعركة في بداياتها. وما احتمل المنافقون هذا النصر ، فخرج عبد الله بن أبي قائللاً : (لَأَ تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) وكرر ثانية قائللاً: (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) وعاد ثالثة ليلقي بالكبرى قصة الإفك ! وأقبل عمر رضي الله تعالى عنه قائللاً : يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم : (دعه ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) الناظر من الخارج يرى أن هذا ضمن الصف وعضو في الجماعة المسلمة ، وقتله طريق إلى إثارة الشبهات والشكوك وهذه حقائق تبعثها الأحداث .

● قصة الإفك التي خاض غمارها المنافق ابن أبي حدثت أثناء العودة من الغزوة، وقد خرجت عائشة من هودجها لقضاء شأن لها ورُحِّل البعير ظناً أنها في الهودج لصغرهما ، فبقيت في مكانها حتى جاء صفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه ثم حملها ولحق بها الجيش ، فشاع المنافق بالوقعة في عرض عائشة وبقي الخبر شائعاً في المدينة شهراً كاملاً ، كما قالت رضي الله تعالى عنها : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، لَأَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيئِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَأَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي (وفي رواية: أمرض) إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى

الله عليه وسلم فَيَسَلُّمٌ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . حتى عرفت رضي الله تعالى عنها من خلال أم مسطح فاستأذنت نبي الله صلى الله عليه وسلم تأتي أبويها فأذن لها .

- بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ويستشير في شأن أهله ، فاستدعى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما وسأل بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها قط أمراً أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله . والكبار لا تستجرهم الأحداث إلى اتخاذ قرارات عاجلة ، وكم من زوج طلق زوجته من أحاديث عابرة ، واكتشف في النهاية آثار العجلة !.
- لم يتهم صلى الله عليه وسلم وزوجه ولم يبرئها من الخطأ وجعل مساحة واسعة قبل أن يعتقد شيئاً أو يتخذ قراراً حيال قضية مجهولة لا يعرف أحداثها ولا أبعادها بعد. وكثيرة هي الأحداث والأقوال التي نحتاج معها إلى ذات الممارسة في الواقع .

- تأمل هذا النص الذي خاطب فيه صلى الله عليه وسلم المسلمين من على المنبر : يا معشر المسلمين ! من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما يدخل على أهلي إلا معي) لتقرأ فيه ثقته صلى الله عليه وسلم في أهله رضي الله تعالى عنها ، وهذه الثقة ليست مجردة من السؤال والاستفصال والقرائن .

- نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة زوجه أم المؤمنين من شائعات النفاق في قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ
وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

(غزوة الأحزاب)

- غزوة الخندق (الأحزاب) في شوال في السنة الخامسة من الهجرة وفيها خرج المشركون عازمين على حرب المسلمين ، يقودهم أبو سفيان في أربعة آلاف مقاتل ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم بمقدمهم فاستشار الصحابة وأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق حتى يحول بينه وبين الأعداء ، وحاصر المشركون المسلمين في المدينة شهراً كاملاً ، وفي أثناء الحصار جاء نعيم بن مسعود رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : إني قد أسلمت فمرني بما شئت ، فقال له : (إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة) فذهب إلى بني قريظة وكان عشيراً لهم في الجاهلية وهم لا يعلمون بإسلامه قائلاً لهم : لا تقاتلوا مع قريش حتى يعطوكم رهائن ، ثم مضى إلى قريش وقال لهم : إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه ، وإنهم قد راسلوه أن يأخذوا منكم رهائن ، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم ، فتخاذل الفريقان وأرسل الله تعالى رجلاً على المشركين ، وانفض الأحزاب عن المدينة ، وانتهى الحصار كما قال تعالى : (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا) .
- شاور صلى الله عليه وسلم في طريقة إدارة المعركة ، واستفاد من مشورة سلمان ، وشارك صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق لحظة بلحظة ، وشد

على بطنه الحجر من شدة الجوع ، والكبار قدوات لا تفصلهم عن أحداث العمل والتضحيات حجم مسؤولياتهم ، ولا يكتفون بتوجيه الأمر ويتفرغون للفرجة على الأسرة ، وإنما هم جزء من كل مشروع ولبنة فيه .

• كان صلى الله عليه وسلم يحفر الخندق ويبعث من خلال العمل صوراً من الفأل والنصر القادم ، فيقول صلى الله عليه وسلم : (الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ، الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ، الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة) والكبار في كل مكان يصنعون رؤية بعيدة الأمد ، ويعثون من خلال الأمل حياة حافلة بالنجاح . القضية أكبر من مسألة انتصار على أحزاب يتآلبون على حرب الإسلام في ربوع المدينة ، وإنما نصر أمة يأتي على الشام وفارس واليمن في قادم الأيام .

• يحكي حذيفة مواقف تلك الليلة فيقول : لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذْتَنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقَرٌّ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، فَسَكَّنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: (أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، فَسَكَّنَا فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنَّا، فَقَالَ: (قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ) ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: (اذهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ) ما أبدع هذا العرض في ساعة محنة : (أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ)! وما أجمل هذا التحفيز : (جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ما أكثر من يهرعون لحظات الأزمات إلى الأمر ، وما أقل ما يدفعون بالحوافز في

تلك المهمات! أما الكبير هنا ففن خاص في التعامل ، عرض مغرٍ في ثوب أدب لطيف !

- حين عاد حذيفة ونام ، فلما أصبح جاء القائد يوقظه بنفسه ويداعبه من أثر ما لقي قائلاً : (قم يا نومان) والكبار دواء لكثير من الأحداث . وانتهت قصة الأحزاب وتفرقت جموع الضلالة ، وظل الإسلام كبيراً كما كان ، وشوكة في حلوق المناوئين .

(غزوة الحديبية)

- غزوة الحديبية ، والحديبية بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلاً إلى الشمال الغربي من مكة ، وتعرف الآن بالشميسي وهو مكان ظاهر للدخول من مكة إلى جدة أو الخارج من مكة إلى جدة . وكانت الغزوة في السنة السادسة من الهجرة في مستهل القعدة وقد قصد صلى الله عليه وسلم العمرة ، وكان في صحبته ألف وخمس مئة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فلما كان صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة قلّد الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة ، ولما وصل إلى عُسفان على بعد ثمانين كيلاً من مكة جاءه بشر بن سفيان الخزاعي بخبر قريش وأنها جمعت له الجموع لصدده عن دخول مكة ، وسار صلى الله عليه وسلم حتى وصل للحديبية ، ونزل الجيش ثم بعث إليهم عثمان رضي الله تعالى عنه وقال له : أخبرهم أنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عماراً ، وادعهم إلى الإسلام .
- وصل عثمان إلى قريش وأبلغهم الخبر وسمحت له قريش أن يطوف بالبيت فأبى أن يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطواف .. وكذلك يصنع الأدب ! وأخبرته قريش وقال بعض المسلمين لعله خلص إلى البيت وطاف به فقال صلى الله عليه وسلم : (ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون ذاك

ظني به ألا يطوف حتى نطوف معه) وحسن الظن من حسن الفأل !
والكبار يثقون في أتباعهم إلى مثل هذه الصور الكبرى في الواقع .

• حين طال تأخر عثمان دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته للبيعة تحت الشجرة فبايعوه جميعاً فلما رأى إقبالهم قال : أنتم خير أهل الأرض ، لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد بايع تحتها . والنفوس التي يطول انتظارها يصيبها اليأس والقلق فتحتاج إلى كبير يهب لها من الأمل ما يذهب بسورات الحزن والقلق .

• ضرب صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى على يده اليسرى قائلاً : هذه لعثمان . كم من ظن كان يحمله هذا التأخر ولا تزيد الأحداث الكبار إلا طمأنينة وثقة في أصحابهم . وعاد أخيراً عثمان وأقفل كل الأبواب المفتوحة لتلك الظنون السائبة في الميدان .

• بدأ التفاوض وأرسلت قريش أول كبارها لإدارة الحوار وأرصد له النبي صلى الله عليه وسلم صوراً من إجلال صحابته له ، فعاد إلى قريش قائلاً : لقد وفدت على قيصر وكسرى والنحاشي والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً . ثم أرسلت قريش الحليس بن علقمة الكناني سيّد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً طلب من أصحابه أن يبعثوا أمامه الإبل المشعرة وأن يلبوا ، لأنه من قوم يعظمون الهدى ، فلما رأى ذلك رجع قائلاً : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت . ثم أرسلت قريش سهيل بن عمرو فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال متفائلاً : (لقد سهل أمركم ، وقال : لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل) كم في هذه الصور من معنى ! وكم

- في هذا الحدس من حديث ! وفرق بين كبير يتقن فن التأثير على كبار الأعداء وبين من لا يعرف من بين يديه فضلاً أن يتقن فن التأثير عليهم .
- لا يمكن أن يصبح أبناؤك في البيت، ولا طلابك في محضن تربوي ، أو مدرسة ، ولا أفرادك في مؤسسة صورة واحدة لبعض ! وإنما كل له شأنه الخاص وفنه المثير ، والمرابي البارع من يتقن هذه المعاني ويوظفها لبناء مستقبل الأمة الكبير في قادم الأيام .
 - أكبر مشكلة تواجهها التربية اليوم أننا نريد الجميع أن يكونوا صورة واحدة في الحفظ والفهم والحركة والنشاط ، وحين لا يستوون يصبحون عرضة للتندر والتهمك .
 - بدأ الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أما الرحمن فو الله ما ندري ما هو ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، ثم قال اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : فو الله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، فقال سهيل : والله لا نتحدث العرب أننا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل فكتب ، فقال سهيل : على ألا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، فقال المسلمون : سبحان الله ، كيف يُرد إلى المشركين ، وقد جاء مسلماً ، فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إننا لم نقض الكتاب بعد فقال : فوالله لا أصالحك على شيء أبداً ، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم فأجزه لي ، فقال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ، قال مكرز : بل قد أجزناه لك ، فقال أبو جندل : يامعشر المسلمين أُرِدُّ إلى المشركين ، وقد جئت مسلماً ، ألا ترون ما لقيت .

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : ألسنت نبي الله حقاً؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، قلت : علام نُعطي الدنيا في ديننا إذاً ، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (إني رسول الله ، وهو ناصرى ، ولست أعصيه) ، قلت : أولست كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال : (بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام)؟ قلت : لا ، قال : (فإنك آتية ومطوف به) . قال : فأتيت أبا بكر فقلت له كما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّ عليّ كما رد عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ، وزاد : فاستمسك بغيره حتى تموت ، فو الله إنه لعلى الحق ، قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً .

● الكبار يملكون رؤية استشرافية للمستقبل ، ولا تضيرهم الأحداث العارضة مهما كانت . كادت مراسم هذه الاتفاقات أن تذهب بلب الملهم الفاروق ولم تصنع في رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً . وطول النفس زمن الأحداث الكبار من مواصفات الكبار ! وما أحوجنا للصبر على أحداث صغارنا في البيوت وزملائنا في المؤسسات قبل الصبر على هذه الأحداث في الأزمان .

● تم الصلح فقال صلى الله عليه وسلم للصحابة : (قوموا فانحروا ثم احلقوا) فما قام منهم رجل واحد ، وكرر ذلك ثلاثاً ولم يتحرك منهم أحد . فدخل

صلى الله عليه وسلم على أم سلمة فاستشارها فيما لقي فقالت له : اخرج لا تكلم أحداً حتى تنحر بدنك وتحلق رأسك . فلما رأى الناس ذلك كادوا يقتتلون على الحلاق .

● من كان يظن أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم فرداً من صحابته ثم يتباطأ عن تنفيذ أمره ! فكيف به صلى الله عليه وسلم لا يجد مجيباً وهم يتجاوزن ألفاً وأربع مئة ! حين تُصدم النفوس لا تعي بعد ذلك ما يقال لها ولو كان الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسعة صدر القائد ومعرفته بأثر هذه الصدمات على النفوس فن آخر يملكه الكبار . كان يمكن أن يتحوّل هذا الإصرار على الرفض إلى مشكلة تقضي على كل الجهود المبذولة من زمن طويل غير أنها لم تكن شيئاً في قلبه صلى الله عليه وسلم حتى تتحوّل إلى شيء في واقع الدعوة .

● إغذار الناس ومنحهم فرصة للتغيير ، والصبر على الأحداث العارضة منهم منهج كبير في سيرته ، ومعلم من معالم التفوّق في حياته صلى الله عليه وسلم . وهذا درس كبير يجب أن يمتد في واقع المرابي أياً كان دوره الذي يقوم به . وهذه العجلة التي نقع فيها خلاف هذا المنهج العريض الذي يشيعه صلى الله عليه وسلم في التعامل مع هذه الأحداث .

● المرأة عون في الملمات ! كان صلى الله عليه وسلم بالأمس أحوج ما يكون إلى من يهدئ خوفه من حادث الغار فتسنّمت خديجة روح المبادرة وأعانتته صلى الله عليه وسلم على تخطي عقبات الطريق ، وهنا كان رأي أم سلمة منقداً من مشكلة تأبّت على الانقياد .

● البيوت من هموم أصحابها ، والرجل الذي يشارك زوجته هموم مشروعها ويدفع بين يديها بأحلامه ، ويجعلها عضواً مشاركاً في أهدافه تأتي في النهاية معه

على ذات الطريق . ما كان لخديجة رضي الله تعالى عنها لتقف ولا لأم سلمة أن تشير لولا عيش المشروع من أصله وهموم الإصلاح في واقعه . ويخطئ كثير من أصحاب المشاريع حين يفصلون همومهم عن هموم بيوتهم ويريدون في النهاية امرأة على ذات الطريق .

(غزوة خيبر)

● غزوة خيبر كانت بعد العودة من الحديبية بعشرين ليلة في السنة السابعة من شهر محرم ، حاصر صلى الله عليه وسلم يهود حتى أصابتهم مخمصة شديدة، ثم صلى الفجر بخيبر فركب صلى الله عليه وسلم وركب صحابته، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم ، ولا يشعرون ، خرجوا لأرضهم ، فلما رأوا الجيش قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ، ثم رجعوا هاربين إلى حصونهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين، فعاد اليهود إلى حصونهم ، فتحصنوا بها ثم التقى الصفان وتساقطت الحصون وقتل من قتل من المشركين وسبيت النساء والذراري ، ثم قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر .

● في هذه الغزوة قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة بعد غربة بلغت بضعة عشر عاماً ليستقبله القائد ويرحب به فرحاً وهو يقول : ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدم جعفر ! . والقلوب التي لا تعرف هتاف هذه المشاعر تقف عاجزة عن التأثير . فله ما أروع هذه النفوس التي تعيش مراحل الجهاد وخوض المعارك ومحن الواقع ولا يشغلها شيء من ذلك عن الترحيب بمن أحبت وإثارة العواطف لمن رأت بعد طول غياب .

- قال صلى الله عليه وسلم ليلة الغزو : (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وكانت الأفراح في صبح تلك الليلة من نصيب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه . وهذه شهادة لا تأتي عرضاً وإنما شهدت بها الأحداث .
- أصيب صلى الله عليه وسلم بجداث السم حين أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية شاة مسمومة وسألت أي اللحم أحب إليه ، فقالوا الذراع ، فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع بأنه مسموم ، فلفظ الأكلة ، ثم عرف المرأة التي سمته وجاءوا بها ، فقالت أردت قتلك ، فقال صلى الله عليه وسلم ، (ما كان الله ليسلطك عليّ ، قالوا : ألا نقتلها) ؟ قال : لا ، ولم يتعرض لها ولم يعاقبها صلى الله عليه وسلم . وكذلك الرحماء ، والانتصار أكبر من هذه الصور التي يراها الآخرون !

(غزوة ذات الرقاع)

- غزوة ذات الرقاع وفيها أغار رسول الله صلى الله عليه على قبائل من بني محارب وهربوا إلى رؤوس الجبال وحضرت الصلاة فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وعاد إلى المدينة .

(عمرة القضية)

- عمرة القضية كانت في ذي القعدة من السنة السابعة من الهجرة خرج النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً العمرة كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية وكان معه قريبا من ألفي صحابي فطاف المسلمون بالكعبة وفيها نزل قول الله تعالى : (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) . وهذه العمرة هي أحلام الأمس ! ولعل

قلب الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه وجد برد اليقين بها بعد طول غياب !
وكان صلى الله عليه وسلم يكتب خطاب الصلح وهو يرى هذه الصورة
ليس دونها قتر ولا سحاب ، فلم يكثرث لأسطر ذلك الصلح التي ظاهرها
العذاب وباطنها الرحمة . وها هو اليوم يأتي على إشراق شمس تلك الرؤية
كما أراد .

(غزوة مؤتة)

- غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة بعد عودته من عمرة القضاء بأربعة أشهر ، وبعث جيشاً فيه ثلاثة آلاف مقاتل إلى الشام وأمر زيداً عليه وقال : إن أصيب زيد فجعفر وإن أصيب فعبد الله بن رواحة ، في مقابل مئتي ألف مقاتل من الروم وبدأت المعركة ومات القادة الثلاثة ثم أخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وأرضاه فدافع خالد القوم حتى انحاز بالمسلمين وانصرف الروم إلى جهة مقابلة . وتوقفت المعركة وعاد الجيش للمدينة واستقبلهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وجيء بأبناء جعفر بن أبي طالب فداعبهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بحلق رؤوسهم ودعا لهم ، وقال لأمرهم وهي تذكر بيتمهم : (العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟!) والكبار لا يتركون أتباعهم في أيام الرخاء فضلاً على أن يتركوهم وقت الحاجة !

(غزوة ذات السلاسل)

- غزوة ذات السلاسل في السنة الثامنة من الهجرة بعد عودة المسلمين من مؤتة حيث جهّز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل لتأديب قضاة التي شاركت في حرب المسلمين مع الروم في مؤتة ففرت قضاة من لقاء المسلمين وتفرقت جموعها .

(فتح مكة)

- فتح مكة في السنة الثامنة لعشر مضين من رمضان ، كان سبب ذلك أن بني بكر عدت على خزاعة فييتوهم وقتلوا منهم ، مع أنهم في حلف وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلمهم بوجهته لئلا تستعد قريش ، وبلغ عدد جيش المسلمين عشرة آلاف ولم يتخلف عنه من المهاجرين والأنصار أحد ، وفي الطريق أرسل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه وأرضاه كتاباً إلى قريش يخبرها بأن المسلمين يريدون غزوهم ، وحملت الكتاب امرأة ، فجاء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل علياً والزبير والمقداد ، فأمسكوا المرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة ، وهددوها أن يفتشوها إن لم تخرج الكتاب فسلمته لهم ، فقال صلى الله عليه وسلم لحاطب ما هذا ؟ قال يارسول الله لا تعجل عليّ ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ، أي لم يكن من قريش، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً ، يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : (أما إنه قد صدقكم) ، فقال عمر يارسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق ، فقال : (إنه قد شهد بداراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بداراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ، فأنزل الله تعالى سورة الممتحنة قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ)

وأول ما يلتفت الكبار حين الخطأ إلى سجل الحسنات ثم يذهبون يوازنون ،
وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث . وكم فاتنا من خير بفوات هذا الفقه !
• واصل المسلمون السير حتى بلغوا كُديداً . وهي عين جارية تبعد عن مكة
سنة وثمانين كيلاً ، وفي الطريق قدم بعض زعماء مكة فأسلموا كأبي سفيان
رضي الله تعالى عنه ، وفي مر الظهران عيّن النبي صلى الله عليه القادة وقسّم
الجيش وتجمّعت قريش مع قبائل شتى لمواجهة المسلمين لكن دون جدوى ،
وتمكن المسلمون من دخول مكة وجاء أبو سفيان فقال يارسول الله :
أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ! فقال صلى الله عليه وسلم :
(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ومن تربّي على شيء كبر عليه فواته !
ومن عاش كبير قومه عمره كله لا يمكن أن يأتي الإسلام على كل ذلك
ويسلبه منه في عشية أو ضحاها ..! فقه النفوس مطلب كبير للقادة ، ولن
يأتي أصحاب المشاريع على مرادهم حتى يفقهوا هذا المعنى من نفوس
الأتباع.

• دخل صلى الله عليه وسلم مكة خاشعاً لربه شاكراً لأنعمه ، دخل وهو يقرأ
سورة الفتح ، وطاف بالكعبة ، وعادت رايات الحق في ربوع مكة من
جديد.

• عاد صلى الله عليه وسلم إلى ربوع الدار التي بدأ فيها أول وهلة من عمره
مشروع العمر ! خرج منها صلى الله عليه وسلم طريداً وقريش تقتفي أثره
وتبذل كل الأموال من أجل الوصول إليه ، وعاد إليها كبيراً عزيزاً بالحق الذي
يحمّله ، ويتوارى أهل مكة بعد إن كانت لهم الراية في الأيام الغابرة ! ويدور
الزمان دورته ، ويعود المطارد من بيته بالأمس يحكم الأرض ويقوم فيها دين
الله تعالى من جديد . وما أروع جهاد يأتي بهذه الخيرات في زمان صاحبه !

- كم بين أول موقف على الصفا وبين هذه اللحظة التي يدخل فيها صلى الله عليه وسلم ! إنها أحلام الطامحين فحسب .

(غزوة حنين)

- غزوة حنين (أوطاس) حنين وأوطاس موضعان بين مكة والطائف ، وتسمى غزوة هوازن . قبيلة عربية شهيرة . وهي التي حملت راية الشرك من جديد ، وجمعت الجموع الغفيرة في حنين بعد شهر من فتح مكة ، وأخرجوا الرجال والنساء والأموال والأبناء حتى لا يفر أحد من أرض المعركة وفي مساء اليوم العاشر من شوال وصلوا إلى حنين المعروفة بالشرايع الآن . وكان في معية المسلمين جموع من مسلمة الفتح حديثي عهد بالإسلام في عدد كبير ، مما كان له أثر في النية والاعتداد بالكثرة .
- بدأ القتال وتراجعت طلائع هوازن في بداية الأمر تاركين بعض الغنائم ، وأقبل المسلمون على جمعها ظانين أنهم انهزموا ، ثم فاجأهم هوازن بالسهم فانكشف المسلمون وفر الطلقاء والأعراب ثم بقية الجيش ، ولم يصمد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفئة قليلة من المسلمين كان على رأسهم عمه العباس وأبو سفيان بن الحارث وأبو بكر وعمر وعلي ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم العباس أن ينادي في الناس للعودة ، ثم خص الأنصار وأصحاب الشجرة ، ثم خص بني الحارث بالنداء ، فتلاحقوا حتى صاروا ثمانين أو مئة ، فعاد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم : (الآن حمي الوطيس) وأمام هذه العزائم والإصرار اضطرت هوازن للفرار وانتهت المعركة لصالح الإسلام وأهله.

- كثيرون أولئك الذين فروا من وسط المعركة وفيهم كبار من أصحاب بيعة الرضوان وأصحاب الشجرة ولم يعنّفهم صلى الله عليه وسلم بكلمة ، وكذلك الكبار لا يستثمرون المواقف في مثل هذه الأخطاء وإنما يثيرون رايات العز وهتاف الذكريات لتعود إلى أرض المعركة بعزائم النصر : (يا أيها الأنصار! يا أصحاب الشجرة! يا بني الحارث !)
- وقف صلى الله عليه وسلم وحيداً على بغلته ، وحين تعبت ترجل وتركها وظل يردد في هدير المعركة : (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) وكذلك الكبار يثبتون في زمن الملمات ويقدمون دروساً عملية تطبيقية في الثبات ! والقيادة ليست هتافاً بكلمة وإنما ثبات في زمن المحن والأزمات .
- دوائر النصر يكتبها الكبار ، ولو فر القائد لما بقي من أنصار الحق أحد ولعادت رحي الكفر في ربوع مكة ، وإنما النصر صبر ساعة ! .

(غزوة الطائف)

- غزوة الطائف كانت أثراً من مطاردة المسلمين لقبائل هوازن الذين تحصنوا بها بعد الفرار ، وصل المسلمون الطائف في العشرين من شوال وحاصروا هوازن بضع عشرة ليلة ، وكان نزول المسلمين في متناول سهام ثقيف ، فأصيب بعضهم فتحولوا بعسكرهم إلى الموضع الذي بني فيه مسجد عبد الله بن عباس اليوم وكان القتال بينهم تراشقاً بالسهام . ولم يكن يقصد النبي صلى الله عليه وسلم بحصار الطائف فتحها وإنما أراد كسر شوكة ثقيف ثم دعا صلى الله عليه وسلم إلى فك الحصار وعادوا إلى مكة ووصلوها في الخامس من ذي القعدة .
- ثم قسّم صلى الله عليه وسلم الغنائم وآثر في قسمتها الطلقاء الأعراب تأليفاً لقلوبهم لقرب عهدهم بالإسلام ، وآثرت هذه الأعطيات في نفوسهم تأثيراً

كبيراً ، واثرت في المقابل سلباً على بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فوجدوا في أنفسهم من هذه القسمة حتى قال صلى الله عليه وسلم : (فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغَنَى وَالْحَيْرِ) ووجدت الأنصار في قلوبها على ذلك حتى إنهم قالوا : يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، وقال الآخر : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فلما رأى صلى الله عليه وسلم ذلك جمع الأنصار ثم قال : (يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِِي؟ وَعَالَاةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟)، كَلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ. قَالَ: (مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟). قَالَ: كَلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ. قَالَ: (لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ؟! لَوْلَا الْهَجْرَةُ، لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا؛ لَسَلَكَتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ) واستطاع بهذه الخطبة أن يعيد وهج الحب في قلوب الأنصار حتى بكوا وقالوا : رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً وحظاً . وكم تصنع الكلمة في نفوس الناس من أثر ! وكم يأتي الحب على القلوب الحزينة فيسقيها بلسماً من أمل !

- تشتاق النفوس مهما بلغت إلى شيء من اللعاع العاجل ، وتلك طبيعة الإنسان ، وليس من ذوق الكبار ولا من أدبهم أن يتهمكموا بالأخطاء

ويعرضوا بها في كل موقف ، ويعيدوا تكرار الزلات ، وإنما يفسحون للنفوس تأخذ حظها ثم يعيدونها بكلمة ثناء للصف من جديد .

(غزوة تبوك)

- غزوة تبوك في شهر رجب من العام التاسع من الهجرة بعد العودة من حصار الطائف بستة أشهر تقريباً ، أراد النبي صلى الله عليه وسلم قتال الروم خارج إطار الجزيرة العربية ، ونظراً لبعده تبوك عن المدينة فقد حث صلى الله عليه وسلم على النفقة فقال : (مَنْ جَهَزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ؛ فَلَهُ الْجَنَّةُ) والعروض المغربية تأتي بالناس تبعاً للأحداث ! سارع الناس في النفقة وتحمل عثمان المسؤولية الكبرى حتى قال صلى الله عليه وسلم : (ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم) . والنفوس تحتاج إلى عون يأخذ بنفوسها حتى تترقى على ظروفها التي تعيشها وتحمل هموم الأمة في واقع الأرض . وليس من الحكمة أن تكل الناس في مثل هذه الأحداث إلى إيمانها ، فكم من ضعيف أمام المال ! وإنما رأس الحكمة استثمار المواقف والدفع بالنفوس وتعليقها بالأهداف الكبرى حتى تقبل آمنة مطمئنة بوعدها النهايات . وكم هي حاجة اليوم إلى صاحب مال يعيد لها ذكريات الراشد عثمان رضي الله تعالى عنه .
- أقبل الصحابة كل يدلي بسهمه في المشاركة ، فجاء الأول بصاع تمر ، وجاء الآخر بنصف صاع ، وأطل النفاق برأسه في الأحداث من جديد فقالوا : إن الله لغني عن صدقة هذا ، وفي ذلك نزل قول الله تعالى : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، ولأن الأحداث القادمة كاشفة لما يعقبها حاول النفاق وأد الغزوة من أولها ، فقال فريق : (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) وقال آخر : (لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ) وقال فريق

- ثالث : (اِنَّذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي) . ولا غرابة فلا يمزق ستر الكذب والنفاق غير الأحداث ! وإذا خيِّمت عليك غمة فلا تقلق فكم في بواطنها من أثر ! والأحداث التي تصيبنا بقدر ما تأخذ منا تهبنا ذات القدر من عوائد الخير !
- أعلن النبي صلى الله عليه وسلم النفي كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) واستجاب صحابته صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف إلا منافق معلوم النفاق وثلاثة من الصحابة من غير عذر ، وبلغ عدد المشاركين ما يزيد على عشرة آلاف حتى قال الحافظ : لا يجمعهم كتاب حافظ .
 - وصل صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، وأرسل خالد بن الوليد مع عدد من الصحابة إلى دومة الجندل فأسروا ملكها ، وصالحه النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ولم يقع قتال في هذه الغزوة ، بل انتهى المسلمون إلى تبوك ولم يلقوا جموع الروم ، وآثر حكام المدن الصلح على الجزية . ومكث صلى الله عليه وسلم عشرين ليلة ثم عاد إلى المدينة .
 - عاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم بدأ بالمسجد كعادته وصلى ركعتين ، وهي سنة كادت تنسى في حياة أصحاب المشاريع فضلاً عن العامة ، وجلس للناس ، وجاء المتخلفون من المنافقين يعتذرون ، فقبل منهم صلى الله عليه وسلم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله تعالى ، وجاء كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، فأقروا أنه لا عذر لهم في التخلف فنهى صلى الله عليه وسلم عن كلامهم خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم بعد ذلك من السماء في قول الله تعالى : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا

حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) إن تخلف الكبار كبير ، وهو مؤذن بانشطار الصف ، وتفترق الكلمة ولا بد من التعامل معه بما يكفل عدم تكرره فيما بعد !

● حين يخطئ الكبار فلا بد أن يذوقوا مس العقوبة ! وليس المقصود التشفي من النفوس المخطئة بقدر ما هو إعادة تأهيل لها للتحليق من جديد في عالم الفضيلة .

● أياً كانت صور التخلف فهي ذميمة ، خاصة في حق الكبار أصحاب المشاريع ، وهي مساهمة في تأخر مشروع الأمة دون وعي ، وكم من تخلف كان سبباً في ضياع مصالح كبرى للأمة !

(عام الوفود)

● عام الوفود هو العام التاسع من الهجرة ، حيث ابتدأ وفود القبائل العربية على رسول الله صلى الله عليه وسلم معلنة دخولها في الإسلام ، والأحداث التي تصنعها المشاريع الكبرى في الواقع تأتي في النهاية بالآخرين ! ما أطول المسافة بين أول يوم يقف فيه صلى الله عليه وسلم على الصفا وهذه اللحظات التي يتوافد فيها الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فرق كبير بين أيام الرسالة الأولى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض دين الله تعالى على الناس وهم يفرون منه ، واليوم وهم يأتون طائعين مستجيبين ! هذه سنن الله تعالى في الأرض إذا أعطيت مشروعك كل ما تملك جاءت النهايات تتهادى بين يديك كما تشاء ! .

(حجة الوداع)

- في العام العاشر حج صلى الله عليه وسلم (حجة الوداع) وخرج من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة ونزل عليه صلى الله عليه وسلم في عرفة قول الله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة بليغة قرر فيها حرمة الدماء والأعراض والأموال ، ووضع أمر الجاهلية كله ، ووضع ربا الجاهلية، وطالب بتقوى الله تعالى في النساء خاصة وأوصى في النهاية بكتاب ربه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنهما العاصمتان من الضلال .
- لم يعد شيء ناقص في الدين ! وتم كل شيء ، وكل ما يستحسنه الناس اليوم إذا لم يكن له أصل في دين الله تعالى فهو باطل لا عبرة به ، ولو كان خيراً لكان جزءاً من دين الله تعالى في الأرض . ومن أحدث في دين الله ما ليس منه فهو رد !

- كل المصالح التي يتوقعها الناس على مر الزمان إذا لم يكن لها أصل في الوحي فهي مصالح موهومة لا قيمة لها في واقع الإسلام .

(جيش أسامة)

- عاد صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ومضت بقية ذي الحجة والمحرم وصفر من العام العاشر وبدأ بتجهيز جيش إلى الشام ، وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه وعمره آنذاك ثماني عشرة سنة ، وأمره أن يتوجه نحو فلسطين ، فتجهّز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عن الجميع . وطعن في هذه الإمارة أقوام وأمضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : (إن كنتم تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وإيم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إليّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده) وقطع

صلى الله عليه وسلم بهذا قول القائلين ، وأجهض على أفكار المتنازعين .
وليس بالضرورة أن يكون كبير السن في كل موقف ، وكم من صغير سن
عظيم شأن والأحداث والمواقف شاهدة !

(وداع الدنيا)

● مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى بعد عودته من حجة الوداع بحوالي
ثلاثة أشهر واستغرق مرضه عشرة أيام وطلب أن يُمرّض في بيت عائشة ،
واشتد عليه المرض فقال للصحابة : (هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا
بعده ، وكان ذلك يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام فاختلفوا رضي الله
تعالى عنهم ، فمنهم من أراد أن يحضر أدوات الكتابة ، ومنهم من خشي
أن يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر رضي الله تعالى
عنه : (حسبنا كتاب الله تعالى ، وثقل عليه المرض حتى منعه من الخروج
للصلاة وقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) وقد حاولت عائشة أن ترده
عن ذلك مخافة أن يتشاءم الناس بأبيها إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم
أصر على ذلك حتى كان . ثم قضى الله تعالى أجل نبيه ورحل يوم الاثنين
في الضحى أو عند زوال الشمس في الثالث عشر من ربيع الأول أو الثاني
عشر من ذات الشهر عن عمر يبلغ ثلاثاً وستين عاماً .

● وأخيراً رحل صاحب المشروع بعد أن ترك للأمة هذا الدين يفيض على
الأرض بآثار الوحي ويخلد فيها معالم المصلحين . رحل وقد علّم كل فرد أن
النجاح صنو المحاولة ، والإصرار يصنع العجائب ، والتحديات تكتب حظها
من الواقع . رحل صلى الله عليه وسلم وكان مليئاً بالصبر والأناة والحلم رغم
مواقف الأعداء وكثرة الأخطاء والتجاوزات التي كان يرقبها في كل حادث

و حين . رحل وقد ترك سيرة عريضة يمكن أن تخلق واقعاً بهيجاً لأصحاب المشاريع في قادم الأيام .

- هذه السيرة صالحة لكل زمان ومكان دون فرق ، ولا تعترف بالفروقات بين الناس ، ومن وهب لها من وقته وصنع لها مثلاً في واقعه أتى على مباحج الحياة دون استثناء . وعلى قدر ملازمة الإنسان لتفاصيلها يستطيع أن يصنع أحلامه كيفما أراد ، والله المستعان وعليه التكلان وهو ولي التوفيق أولاً وآخراً .

عصر الرابع عشر من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٣٥ هـ

بلاد الحرمين ، القنفذة . حلي

الفهرس

قصة الميلاد

صفاته الخلقية

أحواله الشخصية وصفاته الخلقية

تعامله مع أزواجه

تعامله مع أولاه

تعامله مع الصغار

تعامله الأقارب

تعامله مع الجيران

تعامله مع الخدم

تعامله مع الفقراء

تعامله مع ذوي الهيئات

تعامله مع العصاة

تعامله مع المنافقين

تعامله مع كبار السن

قصة البعثة

الهجرة إلى المدينة

في ربوع المدينة

الغزوات

عام الوفود

حجة الوداع

جيش أسامة

وداع الدنيا

الغلاف الخارجي

السيرة ليست حرفاً يكتب ليقرأ ثم يقال لحظة سؤال
بل هي رحلة إنسان وقصة صاحب مشروع تقرأ لتعاد في
الواقع مضامين ورؤى تلك القصة التي عاشها صاحب
الرسالة من جديد .

المؤلف